

اضطرابات الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة للعوثبي: دراسة في المصطلح

د. سعيد جبر أبو خضر*

تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٦/١٧

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/٥/١٩

ملخص

تستقصي هذه الدراسة مصطلحات اضطرابات الكلام والطلاقة اللغوية في كتاب "الإبانة في اللغة" للعوثبي، وترصد تطورها التاريخي في الموروث اللغوي العربي وشيوعها في معجمات المصطلحات المعاصرة، وتدرس ارتباط الدلالات المعجمية والاصطلاحية في تشكيلها، وتكشف عن المصطلحات اللسانية المقابلة لها، وتبين عن إمكانية الإفادة من هذه المصطلحات التراثية في التعبير عن المفاهيم اللسانية العيادية والنفسيّة. وتتضمن مقدمة الدراسة مراجعة لأهم الدراسات التي تناولت اضطرابات الكلام في التراث العربي والإنساني، والتي تناولت جهود العوثبي اللغوية، وتتضمن، كذلك، مسوغات النهوض بها، وأهمية المؤلف والمؤلف، وتلقي الدراسة، في مبحث مستقل، الضوء على مصطلحات اضطرابات الكلام في "الإبانة" من المنظور اللساني المعاصر، وتستفيض في تتبع مصطلحات الطلاقة اللغوية الواردة في "الإبانة" كالتمة، والعممة، وغيرهما.

وأهم نتائج الدراسة: ملاحظة قصور الدراسات والمعجمات الاصطلاحية عن مواكبة التطور المصطلحي في اللسانيات العيادية والنفسيّة، واستعمالها، في الأغلب، مصطلحات منبئة عن التراث العربي مقابل المصطلحات والمفاهيم اللسانية الغربية، وإيرادها مصطلحات الطلاقة على نحو مختلط، ووقوعها في أدواء المصطلح كالترادف والاشتراك. وتضمنت الخاتمة اقتراحات لتجنب المشكلات آنفة الذكر.

الكلمات الدالة: (الطلاقة اللغوية، اضطرابات التواصل، علم المصطلح، لسانيات تطبيقية، لسانيات عيادية)

Abstract

This study explores the contributions of al-Awtabi (fifth A.H./eleventh A.D), to the field of communication speech disorders in general, and fluency disorders in particular, through an exhaustive reading in his book entitled Al-Ibanah Fi Alughah. The study consists of two main parts: the first part concentrates on speech disorders terms and notions. The second part, is devoted to verify terms and notions pertaining to fluency disorders. Besides, the study reviews related literature, and sheds light on the significance of the book itself and the conager contributions of the author.

The study concludes that al-Awtabi's concern about speech disorders is due to the attitude of conserving classical Arabic model from distortion, which goes in harmony with other ancient Arab linguists attitude. Al-Awtabi's effort, represents an early awareness of vital principles adapted by contemporary linguistic methods. Furthermore, terms of fluency disorders, as a result, such as Ruttah(=cluteering), La'thamah(=stuttering)...etc., are of benefits to modern Arabic Dictionaries and studies to cope with developments that occur in contemporary Linguistics.

(Keywords: Fluency Disorders, Communication Disorders, Terminology, Applied Linguistics, Clinical Linguistics).

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

أهداف الدراسة:

تلقي هذه الدراسة الضوء على مصطلحات "اضطرابات التواصل" (Communication Disorders) في كتاب "الإبانة في اللغة" للعوثبي، وتتناول، من بينها، بالتحليل التفصيلي مصطلحات اضطرابات الطلاقة اللغوية، وتقرن هذه المصطلحات عند العوثبي بما أورده اللغويون العرب القدامى، وفي مقدمتهم لغويي القرنين الرابع والخامس الهجريين؛ بغية تبيين دور العوثبي واللغويين العرب القدامى في صياغة هذه المصطلحات وصناعتها، والكشف عن تطورها، وتفحص ارتباط الدلالة اللغوية بالدلالة الاصطلاحية في تشكيلها، وإبراز أهمية هذه المصطلحات في التعبير عن المفاهيم اللسانية المعاصرة ورفد المعجمات العربية اللسانية بالمصطلحات التراثية في حقل الطلاقة اللغوية، والكشف عن مدى استنادة الدارسين العرب المعاصرين معجميين ولسانيين وتربويين - من هذا التراث المصطلحي في مواكبة التطور العلمي في مجال دراسة اضطرابات الطلاقة في الغرب.

أهمية الدراسة وبواعثها:

تستنهض هذه الدراسة بواعث موضوعية تتمثل، ابتداءً، في المسؤولية الحضارية الملقاة على عاتق الدارسين المعاصرين في الكشف عن مخبوء التراث العربي اللغوي ومكوناته المرتبطة بالحقول اللسانية المعاصرة كافة - ومن بينها دراسة اضطرابات الطلاقة اللغوية - لتحلّل الجهود التراثية مكائنتها في التاريخ الإنساني العلمي. الدراسات السابقة في اضطرابات اللغة والكلام في التراث.

انبرى جلة من الدارسين على اختلاف مشاربهم العلمية لبحث اضطرابات اللغة والكلام في نماذج متعددة من التراث الإنساني والعربي. ولعل أبرز هذه الدراسات - فيما وقفت عليه - المتوفرة على الكشف عن إسهامات العرب القدامى في هذا الميدان هي دراسة الباحثين روكي (Rockey D.) وجونستون (Johnston P.) وعنوانها: (Medieval Arabic Views On Speech Disorders: al-Razi (C.865-925))، التي تناولت جهود الرازي وآراءه في دراسة اضطرابات الكلام وأسبابها ومعالجتها، معتمدة على ترجمات كتابه "الحاوي" العديدة، وفي مقدمتها النسخة العربية؛ لما لها من فضل بيان على بقية النسخ الأخرى^(١). وكذلك، دراسة إدريس بلمليح وعنوانها "الرؤية البيانية عند الجاحظ"، وتناول الباحث في فصل مستقل من كتابه موقوفات البيان في الخطاب حسب النظرية اللغوية عند الجاحظ^(٢). ودراسة وسمية منصور وعنوانها: "عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب"، وتتبع الباحثة في هذه الدراسة جهود اللغويين العرب القدامى محددة دوافعهم في دراسة عيوب الكلام، ورصدت مصطلحاتهم، واستقرأت منهجهم^(٣). كما درس مازن الوعر "الأمراض اللغوية من وجهة نظر الجاحظ"^(٤) في كتابه

(١) انظر:

Rockey D., Johnston P., Medieval Arabic Views On Speech Disorders: al-Razi (C.865-925), *Journal of Communication Disorders*, May 1979, Vol.12, Issue3, P.P.,222-243

(٢) انظر: بلمليح، إدريس، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص١٤٥-١٤٨.

(٣) انظر: منصور، وسمية "عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب"، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة الثامنة والثلاثون، الحولية السابعة، ١٩٨٦م.

(٤) انظر: الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥٣٣-٥٥٦.

"قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث"، ليقدم جهودَ الجاحظ في دراسة الأمراض اللغوية، كالانحراف والتداخل في العملية اللغوية، ويقاربهما بما جاء في اللسانيات البيولوجية واللسانيات الاجتماعية، لإحلال جهود الجاحظ مكانتها في البحث اللساني المعاصر.

إضافة إلى هذه الدراسات التي قصدت استجلاء "اضطرابات اللغة والكلام" في جهود العرب القدامى توجهت دراسات أخرى لتسبر أبعاد هذه القضية في التاريخ القديم شأن الدراسة التي اضطلع بها كل من هرولت (Herauld C.)، وهشيكي (Heshiki RE.)، وبناتوس (Yannatos D.) وعنوانها: (Notes On Voice and Speech Disorders In Ancient and Byzantine Greece)، واستعرض فيها الباحثون اضطرابات الصوت والكلام في كتابات الأطباء والمؤرخين اليونان القدماء، كجالينوس (Galen) وأرسطو (Aristotle) وإبيوقراط (Hippocrates) وغيرهم. وكشف الباحثون عن عناية هؤلاء العلماء باللغة بتحليل موقوفات الكلام ووصفها ومعالجتها على أساس علمي^(١). كما تتبعت دراسة كساي (Kassai, I) وعنوانها: (Anomalies In Language and Speech In the History of Linguistics)-المكتوبة باللغة الهنغارية- الجهود البحثية المعقودة في حقل الاضطرابات اللغوية والكلامية عبر تاريخ الدراسات اللغوية^(٢).

ولعل أحدث الدراسات التي هدفت إلى استقصاء جهود اللغويين العرب القدامى في مجال دراسة اضطرابات الكلام هي دراسة الباحث صهيب محاسيس، وعنوانها: "عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي"، وحاول الباحث فيها الكشف عن هذه الجهود لوضعها في المكانة التاريخية التي تستحقها في الدراسات التي أرخت لاضطرابات الكلام وعيوبه، مُعتمداً مدخلا لسانيا في تفحص هذه الاضطرابات وتوزيعها على مستويات النظام اللغوي: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي^(٣).

وتعكس الدراسات السابقة - في جلها - توجهات معاصرة جادة ومُنصفة في فنشها جذور "عيوب اللغة والكلام"، وفي تقليبها جهود الأسلاف من الأطباء والبلاغيين واللغويين، وفي النظر إلى أن ما بلغته العلوم اللسانية من تقدّم في بحث هذا الموضوع يعدّ امتداداً لتلك الجهود، وتتبجاً لها.

وعلى الرغم مما تتمتع به هذه الدراسات السابقة من القيمة العلمية الرفيعة، وسمو المسعى، ونبيل الدافع، فإن البحث المُستقصي في كتابات العرب القدامى لا يزال مُسرّعا على مصراعيه، لاتساع هذا الموروث وغناه، وقلة الدراسات - كما ونوعاً - المتخصصة في جهود أعلامه. فضلاً على ذلك، فالجاحظ، بوصفه علماً في علم البيان العربي، قد حظي بنصيب الأسد من عناية الدراسات المتخصصة بجهود الأعلام، كما أن للأطباء والفلاسفة حظاً وافراً من هذه الدراسات، أما الدراسات الأخرى فيلحظ اتساع مادتها، وتنوع مصادرها، مما يفضي إلى بناء تصورات عامة حول "اضطرابات الكلام واللغة" في التراث العربي، يصعب تعميم نتائجها والاطمئنان إلى دقة أحكامها. وأحسب أن الحاجة غدت ماسة إلى تحديد مصدر لغوي وتسلط الضوء على اضطرابات الكلام واللغة فيه.

(١) انظر:

review.com، على الموقع الإلكتروني: Rev Laryngol Otol Rhinol. 2000;121,5:327-331

(٢) انظر:

Nyelvtudományi Közlemények (Linguistic Studies) 2004, vol1:101, number; pp.91-123.

على الموقع الإلكتروني:

<http://www.nytud.hu/nyk/101/index.html>

(٣) انظر: محاسيس، صهيب سليم، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، (رسالة ماجستير)، إشراف: سعيد جبر أبو خضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

ولمزيد دقة فإن المرجو تحديد جانب من هذه القضية كالصيغة المصطلحية في المُصنّف المُستهدف، أو أنماط اضطرابات الكلام وتصنيفها فيه، أو أسباب اضطرابات الكلام فيه وعلاجها، وغيرها من الجوانب المتخصصة والمهمة.

أهمية كتاب الإبانة في اللغة ومسوغات دراسته.

وتأسيساً على ما سبق، فإن الباحث على الاضطلاع بموضوع الدراسة الحالية — فيما أحسب — يعد مشروعاً، ومسوغاً علمياً ومنهجياً. ويتعمق هذا الباحث حين النظر في قيمة "كتاب الإبانة في اللغة العربية"، ومكانته العلمية العالية، وموضوعاته المهمة، فوصفه طائفة مُحققيه بأنه: "مُصنّف ضخم يضم ثروة لغوية وصرفية وصوتية، كما يضم ألواناً مُتباينة في ثنائه..."^(١)، وبأنه "موسوعة لغوية، أقامها العوتبي اللغوي البارغ على أساس مسائل وقضايا لغوية. فتحدثت عن معنى الإبانة، ثم أقام باباً على "اللسان والفصاحة والبيان"، وأقام فصلاً في "اللحن"... وما إلى ذلك من طرح مسائل العربية وقضاياها في مجلدي المخطوطة"^(٢). وتبوأ هذا الكتاب مكانةً عليّةً لغزارة مآذته وضخامتها، فحمل صفات مؤلفه، وجعل صاحبه في نظر الدارسين لغوياً، وروايةً شعر، ومؤرخاً، وعالم أنساب، وخبيراً في البيئة ومشاعليها...^(٣).

وبعد مُصنّف الكتاب وهو العلامة سلّمة بن مُسلم بن إبراهيم بن مسلم بن عيسى العوتبي^(٤) — يتخذ العام ٣٢٥هـ/٩٣٦م تاريخاً مقارباً لولادته، ويرجح أنه أدرك بزوغ القرن الخامس الهجري^(٥) — يعدّ معلّماً من معالم الدراسات اللغوية والفقهية في عُمان، وعلماً شامخاً من أعلام التراث اللغوي العربي. وقد أضفى عليه المؤرخون صفات منها: الشيخ، العالم، العلامة، الماهر، الحنّ، الفقيه، الطاهر، الإمام، النزيه. وإطلاق هذه الصفات دليل على أن شخصيته قد حوت التميّز في العلم والدين معاً^(٦). وللعوتبي عددٌ جَم من المؤلفات في الفقه واللغة والأنساب والأدب والحكم والأمثال^(٧)، تعكس غزارة علمه وتضلّعه من علوم الدين والدنيا. ومن أهم هذه المؤلفات — خلا "كتاب الإبانة في اللغة" — "الضياء": وهو موسوعة فقهية، يقع في أربعة وعشرين مجلداً، و"الأنساب"، ورسالة

(١) للعوتبي، سلمة بن مسلم، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، ط١، مسقط، سلطنة عُمان، ١٩٩٩م، (مقدمة للتحقيق، ص ٢٧).

(٢) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٢٨.

(٣) انظر: البرادعي، خالد محي الدين، "هذه الموسوعات الثلاث"، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ٩٧٦، تاريخ ١/١٠/٢٠٠٥م.

(٤) نظراً لما اكتنف نسب العلامة العوتبي الصحاري وتاريخ ولادته من لبس وغموض فتعتمد هذه الدراسة في توثيق نسبه وتاريخ ولادته على ما توصل إليه حسن خميس الملح في دراسته القيمة: "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي أنموذجاً، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديماً وحديثاً، تحرير: إبراهيم بحاز، وحسن الملح، منشورات جامعة آل البيت، ٢٠٠٢م. ص ٤١١.

(٥) انظر لمزيد بيان: المرجع نفسه، ص ٤١١-٤١٢.

(٦) انظر: الدسوقي، إبراهيم، "معجم الإبانة للعوتبي"، قراءات في فكر العوتبي الصحاري، ط٢، المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ٢٠٠٣م، ص ١٣.

(٧) انظر: جرار، صلاح محمد، "أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي"، الخليل بن أحمد الفراهيدي، إعداد وتحرير: سعيد جبر أبو خضر، ومحمد محمود الدروبي، ط١، المجلد الأول، منشورات جامعة آل البيت، ٢٠٠٧م، ص ٤٣٣.

وجَّهها إلى علي بن علي وأخيه الحسين بن علي في كلوه بشرق أفريقيا، بين فيها أصول المذهب الإباضي، ورسالة أخرى إلى ولديه، لحثهم على التمسك بالدين ولمعرفة أحكام الإسلام^(١)، وغيرها.

ولا ريب في أن عالماً بهذه المنزلة السنية قدّم للمكتبة العربية موسوعاتٍ خطيرةً في مناحٍ علميةٍ شتى، وأغنى المكتبة العُمانيّة بسيفرٍ - الإبانة في اللغة - عدّه كثيرٌ من الدارسين "الكتاب الأهم في المكتبة العُمانيّة من بين سائر الكتب اللغويّة العُمانيّة القديمة والحديثة"^(٢) - يستحق أن يُفرغَ الدارسون الجهد في استقصاء آثاره العلميّة وتحليلها، لا سيّما أن هذه الآثار، في العموم، قد تمخّضت في "حقبه تاريخية اتصفت بالازدهار العلميّ والثقافي"^(٣)، وأن تأليف كتاب "الإبانة في اللغة"، على وجه الخصوص، قد توجّ تأليف العوتبي؛ فالراجح لدى الدارسين "أن كتاب الإبانة وضعه مؤلفه في أواخر حياته.."^(٤).

الدراسات السابقة في كتاب الإبانة في اللغة.

ويلحظ المنتبِعُ عنايةً عددٍ من اللغويين المعاصرين بكتاب "الإبانة في اللغة"، ومن أبرز هؤلاء الدارسين جاسر أبو صفية، في دراسة له بعنوان: "الإبانة في اللغة لسلمة بن مسلم العوتبي" المنشورة في عام ١٩٩٩م^(٥)، وحسن الملح في دراسته "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين"، المنشورة في عام ٢٠٠٢م^(٦)، وإبراهيم الدسوقي في دراسة له بعنوان: "معجم الإبانة للعوتبي"^(٧)، ومحمود الربامي في دراسته "العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة: دراسة وصفية تحليلية" في عام ٢٠٠٤م، وسكينة محمود موعد، في دراسة لها بعنوان: "دخول بعض الصفات على بعض من خلال كتاب (الإبانة في اللغة للصحاري"، المنشورة في عام ٢٠٠٦م^(٨)، وصلاح محمد جرار، في دراسته التي تحمل عنوان: "أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي"، المنشورة في عام ٢٠٠٧م^(٩).

(١) انظر: السيابي، أحمد بن سعود، "العوتبي نسابة"، قراءات في فكر العوتبي الصحاري، ط٢، المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ٢٠٠٣م، ص٧٧.

(٢) انظر: www.alwattan.com/graphics/2006/10/oct.

(٣) انظر العوتبي، الإبانة، (مقدمة التحقيق، ص١٧). وانظر: السالمي، عبد الرحمن، تعددية العوتبي وترجمته، مجلة نزوى، عُمان، العدد ٢١، على الموقع الإلكتروني: <http://www.nizwa.com/browse21.html>.

(٤) انظر: العوتبي، الإبانة، (مقدمة التحقيق، ص٢٥-٢٦).

(٥) أبو صفية، جاسر خليل، الإبانة في اللغة لسلمة بن مسلم العوتبي، مجلة الدراسات اللغوية، السعودية، العدد: ٢، يوليو- سبتمبر، ١٩٩٩م، ص١٧٣-١٩٧.

(٦) الملح، حسن خميس، "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي أنموذجاً"، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديماً وحديثاً، ص٣٩٥-٤١٨.

(٧) انظر: الدسوقي، إبراهيم، "معجم الإبانة للعوتبي"، قراءات في فكر العوتبي الصحاري، ص٧-٦٠.

(٨) موعد، سكينة محمود، "دخول بعض الصفات على بعض من خلال كتاب (الإبانة في اللغة للصحاري)"، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: ١٠٤، السنة: ٢٦، كانون الأول ٢٠٠٦م، وانظر الموقع الإلكتروني: (www.awu-dam.org/trath/104/turath104-005.htm).

(٩) جرار، صلاح محمد، "أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي"، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المجلد الأول، ص٤٤٤-٤٣١.

إضافة إلى هذه الدراسات اللغوية، قدّمت مجموعة وافرة أخرى من الأوراق العلمية في "ندوة العوثبي الصحاري الدولية" التي عقدت في جامعة آل البيت، بتاريخ ٢٤-٢٥ آذار ٢٠٠٨م. وتناولت عددًا من هذه الأوراق العلمية جهود العوثبي اللغوية والبلاغية والنقدية والأدبية^(١). وأبرز هذه الدراسات اللغوية: "الشواهد الشعرية في كتاب الإبانة للعوثبي" لمحمود إبراهيم الرضواني، و"صيغة التعجب في كتاب الإبانة" لصلاح محمد جرار، والدرس الدلالي عند الإمام سلمة بن مسلم" لإدريس مقبول، و"قضايا اللغة وجمالياتها في كتاب الضياء للعوثبي الصحاري"، لطارق سعد شلبي، و"الجهود اللغوية للعوثبي وقيمتها العلمية"، لمحمد البوقاعي، و"المصطلح الصوتي عند العوثبي في كتابه الإبانة" لزيد القرالة، و"الطلاقة اللغوية ومعوقاتها: دراسة مصطلحية في كتاب الإبانة للعوثبي"، لسعيد أبو خضر، و"المباحث النحوية في كتاب الإبانة في اللغة العربية للعوثبي الصحاري" لعبد الرزاق جرار.

ومن الملحوظ أن جلّ الدراسات المعاصرة المذكورة قد أفردت للبحث في جهود العوثبي لغويًا في ضوء كتابه "الإبانة في اللغة"، وأنّ هذه الدراسات المتخصصة تمثّل وعياً معاصراً بقيمة الكتاب وأهميته العلمية. ومن الملحوظ، كذلك، أن هذا الاهتمام العلمي بكتاب الإبانة جاء متأخراً زمنياً؛ وربما يُعزى السبب في ذلك إلى أن الكتاب رأى النور مطبوعاً مُحققاً منذ عقد من الزمان تقريباً^(٢)، ومنذ نشره توالى الدراسات تترى، لتسلط الأضواء على نفاثته ومكنوناته.

ومع حرص هذه الدراسات المعاصرة على تناول أبواب الكتاب وموضوعاته، ومراجعة مادته اللغوية والمعجمية ومصادرها، والبحث في منهج تأليفه، وتحليل مستويات اللغة فيه: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والوقوف على بعض قضايا النحوية والمعجمية المتخصصة، ومقارنة مادته ومنهجه بما ورد في كتب اللغويين السابقين والمعاصرين لمؤلفه - غير أن مصطلحات "اضطرابات الطلاقة اللغوية" الواردة في "كتاب الإبانة" لم تحظ إلا بالإشارات والإلماحات المبتوثة عَرَضاً في طي بعض هذه الدراسات في مواطن استعراضها محتوى الكتاب ومادته، شأن ما تقدّم به حسن الملح في دراسته، المشار إليها آنفاً، قائلاً: "أما التمهيد فتضمّن حديثاً عن معنى اللسان والفصاحة والبيان... وعندما تحدّث العوثبي عن أصول اللغة لم يفارق منهجه الذي رسم خطته في اللسان والفصاحة والبيان، فتحدّث عما يعتري اللسان من علل النطق وعيوبه، مثل الرقة، والتمتمة، والتأناة، والغافاة، والعقلة، والحبسة، والغمغمة، والطمطمة، وغيرها، ثم تحدّث عن محاسن الكلام المسموع..."^(٣).

(١) تضمنت جلسات الندوة الأوراق الآتية التي توفرت على العوثبي بلاغياً وناقداً وأديباً في كتابه الإبانة، وهي: "تلقي الخطاب البلاغي في كتاب الإبانة للعوثبي" لأمين يوسف عودة، و"العوثبي وثقفي الشعر الجاهلي في كتابه الإبانة" لمحمد العبيسي، و"أساليب قراءة الشعر عند العوثبي الصحاري في كتاب الإبانة في اللغة العربية" لبيثينة الفضاة، و"الملح البلاغي في كتاب الإبانة للعوثبي" لعمر راشد وحسين كنانة، و"البلاغة عند العوثبي" لإبراهيم أبو علوش، و"منهج العوثبي في التأليف في كتاب الإبانة في اللغة العربية: (الحقيقة والمجاز أنموذجاً)" لعبد الباسط مرشدة، و"أثر الفكاهة في كتاب الإبانة للعوثبي" لسيد إسماعيل علي، و"من أهل عُمان: شخصيات عُمانية في الإبانة للعوثبي" لعبد الجليل عبد المهدي، و"اضطراب الرواية في التأليف عند العوثبي: أخبار امرئ القيس أنموذجاً" لأحمد المشرف الحراشنة، و"الأثر الإقليمي في أدب العوثبي" لأحمد عبد الرحمن الشميري، و"الإبانة عن منهج العوثبي في كتابه الإبانة في اللغة العربية" للنيلي توفيق العمري، و"الأمثال في كتاب الإبانة للعوثبي: دراسة نقدية" لمنتهى طه الحراشنة، و"المثل عند العوثبي: كتاب الإبانة شاهداً" لمحمد محمود الدروبي.

(٢) وقّع محققو الكتاب في تمة مقدمة للتحقيق بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢٠م، وصدرت الطبعة الأولى من "كتاب الإبانة في اللغة" في عام ١٩٩٩م، وبناء على ذلك تقدر الدراسة المدة بعشر سنوات تقريباً.

(٣) الملح، حسن خميس، "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوثبي أنموذجاً"، ص ٤١٣-٤١٤.

وبناء على هذا، ارتأت الدراسة الحالية أن تستقصى مصطلحات "اضطرابات الطلاقة اللغوية" في الكتاب، أخذة في الحسبان أن تلمس الدارسين هذه المصطلحات في الكتاب بشكل اعترافاً صريحاً بتغلغل هذه القضية في نسج خطة الكتاب وبنائه، وأنها تتطلب بحثاً جاداً يلمّ أشناتها ويحلّ مكوناتها. اهتمام العوتبي باضطرابات الكلام.

لا غرابة في أن يشكّل الكلام ومعوقاته ظاهرة لغوية تفتش رقعةً مُميّزةً في مصادر التراث اللغوي العربي، وأن تحظى قضايا الكلام فيها باهتمام بالغ؛ فالفصاحة والبيان من أظهر مقومات العربية ومن أبرز خصائص نماذجها الأدبية المرموقة، فاستنبت اللغويون العرب القدامى خصائص الفصاحة والبيان في مستويات العربية الفصحى: صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً ودلالياً، ووضعوا قواعد نظامها اللغوي؛ لتنضبط الأداء اللغوي وتحفظه من التغيير والتشويه. وعلى هذّي من هذه القواعد والمعايير وقفوا على: اللغات المذمومة، وكلام الأعاجم، واللحن، وغيرها من المستويات والأداءات التي جاءت مخالفةً لتلك المعايير.

ويأتي اهتمام العوتبي بالكلام ومعوقاته منسجماً، نهجاً وتطبيقاً، مع توجه سابقه ومعاصريه: لغويين (معجميين، وفقهاء لغة)، ونحويين (علماء النحو والصرف والأصوات)، وبلاغيين (علماء البيان والمعاني). فكتاب الإبانة هو كتاب في الإبانة عما يحتاج إليه متعلمو العربية حتى يستقيم كلامهم وفقّ كلام العرب، وكلام العرب لا يتأتى فهمه إلا بإدراك أصوله في التصريف والنحو والبلاغة؛ لأن هذه العلوم أصول العربية، يُبنى عليها فهم دقائق الألفاظ، وفصيح الأمثال، وجميل الأقوال، ودقيق آي القرآن الكريم، وغيره من النصوص العربية الموسومة بالفصاحة والبلاغة^(١)، وتنبذى هذه الفكرة — بوصفها نهجاً ترسم العوتبي معالمه في تأليف كتابه — في قوله: "وقد ألفت هذا الكتاب في أصول اللغة... وذكّرت أحرفاً من دخيل غيرها فيها، وفسّرت شيئاً من الكلام الجاري على ألسنتهم، لا يعرف معناه، ولا يوقف على فحواه، دون الغريب..."^(٢). ويؤكد صدق هذا النهج لدى العوتبي ما توّصل إليه حسن الملح، حيث يقول: "وجاء سائر الكتاب إبانة عن معانٍ وتعبيرات وكلمات يكثر استعمالها على غير وجهها"^(٣).

فضلاً على ذلك، يشي عنوان كتاب "الإبانة في اللغة" بنهج صاحبه، إذ يستمدّ العنوان دلالاته اللغوية من معاني: الوضوح والظهور والإعراب والأنمياز، لتبلغ رغبة العوتبي في إفهام مادة كتابه، فيقول: "والى الله تعالى الرغبة في إفهاميه، وإقداري على إتماميه..."^(٤).

إذن، فالنهج العلميّ المُبين في التأليف — لدى العوتبي — يُراعي ربط الاستعمال بالمعيار، وتقديم أبداع وجوه الاستعمال في نماذج فصيحة من لغة العرب، وميّز العربيّ الفصيح من الدخيل والمذموم، وإماطة اللثام عما اعتري العربية من غموض اللفظ والاستعمال؛ لكي يبلغ المتعلم مستوى إتقان الأنموذج اللغويّ الأفصح فهماً وإنتاجاً، فيتجنّب عندئذ ما يعتري كينونته اللغوية الفردية والاجتماعية من معوقات "كعجز الأداء اللغوي عند الفرد: كالتلعثم، والتلعثم، واللججة، والعي...، وكمعوقات تُردّ إلى سوء التعلم، وسوء التعليم، وكمعوقات أخرى تُردّ إلى سوء ممارسة اللغة بسبب وجود مستويات لغوية متعددة أحدها فصيح... والباقي عامي"^(٥).

(١) حسن خميس الملح، الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي أنموذجاً، ص ٤١٢.

(٢) انظر: العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٥.

(٣) الملح، حسن خميس، "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي أنموذجاً"، ص ٤١٨.

(٤) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٥.

(٥) انظر: استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، (د.م)، ١٩٩٥، ص ٢٧.

أضواء لسانية على اضطرابات التواصل عند العوثبي واللغويين العرب القدامى.

لعلي لا أجنب الصواب إن قلت: إن "كتاب الإبانة في اللغة" في مستوييه: النظري والتطبيقي مُنجزٌ حداثي؛ لمقاربتة اللسانيات التواصلية^(١) — وهي أحدث فروع اللسانيات الاجتماعية وأظهرها — في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها في خدمة المجتمع، وعلاقتها بالأفراد والمجتمع، ودورها في عملية التواصل اللغوي.

فتمثل محافظة اللغويين العرب القدامى، ومن بينهم العوثبي، على "النمط اللغوي الفصيح الذي اتفق عليه العرب قبل الإسلام، وتواصلوا به في مناحي الحياة الأدبية والاقتصادية والسياسية، وأكدّه الإسلام وركز عليه، إلى درجة أن الوحي نزل باللسان العربي المشترك"^(٢) — تمثل وعياً بوظيفة اللغة في التواصل الاجتماعي، وأهميتها في توحيد أفراد المجتمع.

والتواصل في النظر اللساني الحديث "عملية تبادل للمعلومات بين أفراد المجتمع اللغوي، بغية تحقيق الحاجات الأساسية والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر المختلفة من ناحية، والتواصل الاجتماعي من ناحية أخرى"^(٣). واللغة، في اللسانيات الاجتماعية، هي الأداة الرئيسة في عملية التواصل اللغوي، ويتم بها إظهار إنجازات الإنسان في المجالات المختلفة: الاجتماعية والثقافية والنفسيّة والعلمية^(٤).

ومن المعلوم أن التواصل اللغوي يقوم على أربعة أركان، هي: المرسل، والمستقبل، وأداة الإرسال (الكلام المنطوق أو المكتوب)، ومادته (الأفكار والمعاني). وهذه الأركان الأربعة أساسية في عملية التواصل اللغوي؛ إذ يسقط أحدها تسقط عملية التواصل^(٥).

ويظهر وعي العوثبي بأهمية هذه الأركان في إيلائه الأداة، بخاصة، عناية جمة، فكان حريصاً في كتابه على مراعاة سلامة النظام اللغوي للعربية الفصحى، والتنبيه على ما قد يشوبه ويتسرب إليه من مناحي اعتلال نظام الرموز اللغوية وقواعدها، التي تعوق التواصل^(٦)، فجدده ينبّه إلى ما قد يعترض نظام العربية الفصحى الصوتي من تغيير، بسبب التأثير اللهجي أو تأثير اللغة الأولى في الأداء اللغوي، فيقول: "وقد يقيمون الهاء مقام الحاء لأنها أختها. فيقولون مدهه أي مدحه، والمدح، أي المدح، وأجلّه أي أطلّح. وفي كلام الفرس يوجد كثير من ذلك. يقولون: هبيبي يريدون حبيبي، وأهية أي أحيته، وهرج علي أي خرج علي... وأهدم، يريدون أحمد"^(٧).

وغني عن التفصيل ما في قول العوثبي من ملاحظة لما قد يتسرب إلى المستوى الفصيح من لكنة الأعاجم، نتيجة توسع الدولة الإسلامية وما صاحبها من تغيير طارئ على البنية السكانية للمجتمع العربي.

ونجد العوثبي يسوق في باب اللحن أنموذجاً دالاً — فيما أرى — على أن التفكير الجمعي يُملي وجوده على الفرد، باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة، إذ يورد "أن رجلاً من الأشراف دخل على زياد بن أبيه،

(١) انظر: استيتية، سمير شريف، اللسانيات، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٥م، (الفصل الثالث: اللسانيات التواصلية)، ص٦٧٥.

(٢) انظر: استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والإردواجية، ص٤٣-٤٤.

(٣) انظر: فارح، شحده، وآخرين، مقدمة في اللسانيات المعاصرة، ط٢، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص٢٤١-٢٤٢.

(٤) فارح، شحده، وآخرون، المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٥) انظر: استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والإردواجية، ص٤٢.

(٦) يقصد بالتواصل، في اللسانيات النفسية، قيام الفرد بإرسال إشارة إلى فرد آخر أو أفراد آخرين من نفس الصنف، بحيث يقدم الآخرون استجابات تخدم أغراض صاحب الإشارة أو تخدم مصلحة الصنف، الحمداني، موفق، علم النفس اللغوي من منظور معرفي، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٣.

(٧) العوثبي، الإبانة، المجلد ٢، ص٣٨٦.

فقال: إن أبيننا هلك، وإن أخونا غصبنا على ميراثنا من أبانا. فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من مالك^(١). فالخروج على سنن اللغة وقواعدها بشكل خرقا لسلامة النظام اللغوي للجماعة، ولا وجود لفرد - في نظر اللسانيات التواصلية - يختار لغته بنفسه، وإنما هي لغة المجتمع. وبتفاوت الأفراد في تطبيق قواعد هذا النظام بحسب موقعهم من الفهم، وحظهم من التربية اللغوية^(٢).

وبعد، فليس مستغرباً في ظلّ الازدهار العلمي في الدراسات اللغوية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ونمو الوعي بالخطر الذي يدهم الإبانة بالعربية، نتيجة التمازج اللغوي في البيئة العربية - أن يزخر كتاب الإبانة بمصطلحات واصفة لمكونات التواصل اللغوي بالمستوى الفصيح، وما يعوق هذا التواصل. مصطلحات التواصل اللغوي ومُعوقاته في "كتاب الإبانة في اللغة".
أولاً: مكونات التواصل اللغوي.

معلوم أن اللغة المنطوقة من أكثر الوسائل المستخدمة شيوعاً في عملية التواصل، ولتتحقق وظيفة هذه اللغة في التواصل الفعال فلا بد من سلامة مكونات أركان عملية التواصل اللغوي، وهي: "الصوت، والنطق، واللغة، والطلاقة، والسمع"^(٣).

أولاً: الصوت وهو جانب أساسي في عملية التواصل، ولا يتحقق التواصل الشفوي إلا به، ويؤدي اعتلاله إلى الاقتصار على الإشارات. وهو مرآة الإنسان، يحمل معاني لا تؤديها الكلمات والجملة منفردة كالغضب والسرور، ولا بد أن يكون طبيعياً وأن يُستخدم بشكل صحيح حتى تتم عملية التواصل بشكل مقبول اجتماعياً، وأي اضطراب فيه قد يؤدي إلى تعطيل عملية التواصل أو جعلها غير مقبولة اجتماعياً. وعوامل اضطرابه قد تكون عضوية، أو نفسية، أو سلوكية^(٤).

ثانياً: النطق، وهو معني إنتاج الأصوات اللغوية، وبحركة الأعضاء على نحو مُحَدَدٍ ودقيق لتنتج الأصوات المرغوبة. ويضطرب النطق عندما لا يستطيع المرء نطق الأصوات في لغته بشكل صحيح. وعوامل اضطراب النطق قد تكون وظيفية لا يُعرف سببها على وجه اليقين، وقد تكون عضوية، كتعطل أعضاء النطق عند إصابة الدماغ، فلا تتمكن من إنتاج الأصوات المطلوبة^(٥).

ثالثاً: الطلاقة اللغوية، وهي انسياب الكلام وسلاسته وجريانه بشكل متواصل وبمعدل طبيعي ومن غير بذل جهد يُذكر، وهي شرط لتحقيق الكلام الطبيعي^(٦).

رابعاً: اللغة (المنطوقة)، وتتكون من المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية^(٧).

خامساً: السمع، ودوره أساسي في استيعاب الكلام المنطوق وتحديد معانيه^(٨).

(١) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ١٨.

(٢) انظر: استنبية، سمير شريف، اللسانيات، ص ٦٨٠.

(٣) فارح، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ٢٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣-٢٥٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٨) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

ثانياً: اضطرابات التواصل اللغوي.

اضطرابات التواصل على ثلاثة أنواع، أولاً: اضطرابات الكلام، وتضم: اضطرابات الصوت، واضطرابات النطق، واضطرابات الطلاقة. وثانياً: اضطرابات اللغة، وتشمل جانباً أو أكثر من الجوانب اللغوية، كالصرف والنحو والدلالة. وثالثاً: اضطرابات السمع: وترجع عادةً إلى وجود مشكلة في الجهاز السمعي^(١).

ثالثاً: مصطلحات التواصل اللغوي في كتاب الإبانة.

ويُفصي استقراء كتاب الإبانة إلى ملاحظة أن العوتبي قد أودع فيه مادةً معجميةً ومصطلحيةً تعبرُ بدقة عن مفاهيم أساسية في حقل التواصل اللغوي ومُعوقاته. فالمُرسلُ له نصيبٌ وافرٌ من المصطلحات الواصفة لقدرته الكلامية، والدالة على مكنة التواصل والإيصال لديه، وعلى توافر مقومات ذلك كله: صوتاً، ونطقاً، وطلاقةً. فأورد في مواضع متفرقة من كتابه: "الرجلُ المُعرب"^(٢)، إذا بيّنَ وأوضح، والمنطوقُ البليغُ والناطقُ: النين^(٣)، و"النين من الرجال: الفصيح... ورجلٌ بيّنٌ وجهيرٌ إذا كان بيّنٌ وجهيرَ المنطق"^(٤)، و"البليغُ الذي يُبلغُ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وقد بلغَ يبلِّغُ فهو بليغٌ إذا استحكَم"^(٥)، و"رجلٌ فصيحٌ، قد فصَحَ فصاحةً، وقد أفصحَ الرجلُ بالكلام... والفصيح في كلام العامة المُعرب... ورجلٌ نبارُ بالكلام: فصيحٌ بليغٌ... وكلُّ شيءٍ قد رَفَعَ شيئاً"^(٦) و"الفصيح: ما يتكلم... والمفوة: القادرُ على الكلام، فاه يفوه وفُهتُ أنا، كُلهُ من النطق والكلام. والفصيح: البيّنُ اللسان واللهجة"^(٧)، و"فاه يفوه بالكلام: إذا لفظ به..."^(٨)، و"أعربَ الرجلُ: إذا أفصحَ القول، وأعربَ الكلامَ وأعربَ به"^(٩).

وقد تبدو هذه المصطلحات - للوهلة الأولى - مترادفةً، لكنّ تغليبَ العوتبي - وهذا دأبه - دلالة اللفظ ومعناه المعجمي يكشفُ عن فروقٍ دقيقةٍ بين مفاهيم هذه المنظومة. فالبليغُ تدلُّ على كفاية المتكلم اللغوية التامة، فهو قادرٌ ذهنياً وعضوياً على نقل مادة المعنى (المشاعر والأفكار والمعلومات) بالأداة (اللغة) إلى المستقبل، وقد استحكم من ذلك كله.

أما دلالة "الفصيح" فتضيء جوانباً مهمةً أخرى من عملية التواصل، فهي تركز على خصائص الأداة (اللغة المنطوقة)، وموافقته لنظام العربية الأنموذج: صوتياً وصرافياً ونحوياً ودلالياً، مما يسمح بإيصال المعنى، بسبب الاستخدام المثالي للغة. ويلمح اقتران دلالة "الفصاحة" بضدّها "العُجمة" في سياق استخدامها في كتاب الإبانة - إلى المستوى النقي من العربية، مقابل المستوى اللغوي العربي المشوب بعُجمة اللغات الوافدة على العربية، فيذكر العوتبي أن الأعجمي "هو عند العرب الذي في لسانه عُجمة، وإن كان من العرب"^(١٠)، وعليه، فالفصيح من يستخدم

(١) فارح، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ١٢

(٣) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٢٤

(٤) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٦٣

(٥) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٧١

(٦) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤٢

(٧) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٣٢

(٨) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٣٣

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٤٩٤

(١٠) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤٢

العربية بصورتها المثالية سواء أكان عربي الأصل أم أعجميّه، ويقال للرجل إذا لم يكن يتكلم بالعربية فتكلم بها: قد فصّح، وإذا كان يتكلم بالعربية ثم جادت لغته: قد فصّح^(١).

أما المنطوق، والناطق، والمفوه، فصفات ترتبط بمكوّن نطق اللّغة في التواصل اللّغوي، وبها يتحقّق البيان والوضوح لدى المتكلم؛ بسبب القدرة على إنتاج الكلام، وسلامة الأعضاء النطقية، فليس ثمة ما يعوق إنتاج الكلام عند المتكلم. ويأتي الوضوح والبيان في "الجهير" و"النّبار" لارتباطهما بالطلاقة الكلامية لدى المتكلم، إذ يتطلب الكلام في التواصل اللّغوي درجة من ارتفاع الصوت وظهوره، ليكون الكلام طبيعياً ومقبولاً، ليتحقّق التواصل.

إضافة إلى ذلك، يقدّم العوتبي في كتابه عددا من المصطلحات الدالة على أهمية الصوت في العملية التواصلية، إذ يحمل الصوت قيمة معنوية لا تُعبّر عنها الكلمات والجمل منفردة، نحو المعاني الآتية التي حملها الصوت في ارتفاعه وانخفاضه، فالصياح: "صوت كلّ شيء اشتد^(٢)" و"الصرخة": "من الصياح عند المصيبة والفزعة"^(٣)، و"الصرّة": "شدة الصياح"^(٤)، و"تقع الصوت": "ارتفع"^(٥)، وإذا رفعت الصوت فدعوت إنساناً قلت: نوهت^(٦). فالفرق الدلالية دقيقة في درجة علو الصوت وطبقته حين يشتد الصياح يكون صرّة، واشتداد الصياح في موقف الحزن دليل على المصاب الأليم، وارتفاع الصوت بنغمة مرتفعة تعني نفعياً التنويه.

وعليه، فمثل هذه الدلالات اللّغوية المتصلة بالصوت تؤكد عياً بأهمية الصوت في العملية التواصلية من ناحية، وتقدّم مصطلحات ترتبط بوصف الصوت الطبيعي في التواصل بالعربية.

رابعاً: مصطلحات اضطرابات الكلام في كتاب العوتبي.

في مقابل المصطلحات الدالة على التواصل اللّغوي المثالي نجد العوتبي يقدّم في كتابه مصطلحات تعبّر عن مفاهيم تنضوي في منظومة اضطرابات الكلام؛ لما ينجم عن هذه الاضطرابات من معوقات في عملية التواصل، ويكون مصدرها: الصوت، والنطق، والطلاقة. والمصطلحات الدالة على هذه المعوقات الكلامية تظهر في مواضع متفرقة من كتابه، وقد عرّفها بوسائل متنوّعة، وهي:

"الحبسة": "إذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدّت عليه مخارج الحروف. وزعم محمد بن الجهم أنه أطلال الفكر في أيام محاربة الزط، فاعتزته حبسة في لسانه"^(٧)، و"الحبسة: تعذّر الكلام عند إرادته"^(٨)، و"العقدة": "وتقول عقيد الرجل وعقدت المرأة، والنعت: أعقد وعقداء؛ إذا كانت في لسانه عقدة وغلظ في وسطه، وهو عسير الكلام، والفعل عقّد يعقّد عقداً..."^(٩)، وقال الله تعالى، حكاية عن موسى عليه السلام: {وَاحْتَلَّ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}^(١٠). والعقدة: رنة كانت في لسانه، لجمرة بادر إدخالها في فيه إذ راعته عقوبة فرعون حين أخذ موسى، عليه السلام،

(١) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٦٢.

(٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٦٣.

(٤) المكان نفسه.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٤٠٨.

(٦) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٤٢٣.

(٧) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٧.

(٨) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٥٥١.

(١٠) القرآن الكريم: سورة طه، الآية ٢٧-٢٨.

بلحيته وهو لا يعقل. وقال فرعون: هذا عدو لي. فقالت امرأته: إنه لا يعقل^(١)، و"الرئة": "عجلة في الكلام، نقول: رجلٌ أرت. وقال ابن عباس: كانت فيه رئة، ولم يكن يبين الكلام. والرئة: كالريح تمنع منه أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل. والرئة تكون غريزة... قال وهب: كان على طرف لسان موسى، عليه السلام، شامة، ولا يعرف أحد، قبله أو بعده، في طرف لسانه شامة، وهي العقدة التي ذكرها الله، عز وجل، والعقدة في اللسان عقدة التمام^(٢). و"التمتمة": "أن ترى اللسان يخطئ موضع الحروف، فترجع إلى لفظ كأنه التاء والميم، وإن لم يكن بيتاً. والرجل تَمَتَّم^(٣). و"التأناة": "الترداد في التاء"^(٤)، و"الفأفة": "الترداد في الفاء"^(٥)، و"العقلة": "التواء اللسان عند إرادة الكلام"^(٦)، و"اللفف": "إدخال حرف في حرف"^(٧)، و"الغمغمة": "أن تسمع الصوت، ولا يتبين لك الكلام"^(٨)، و"الطمطممة": "أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم... والأعجم الطمطمم الذي لا يفهم... والطمطمم: الذي يتكلم بالعربية فلا يفصح شيئاً"^(٩)، و"اللكنة": "أن يتعرض على الكلام باللغة الأعجمية"^(١٠)، و"الرطانة": "تكلم الأعجمية، تقول: رأيت أعجميين يرطنان، وهو كل كلام لا يفهمه العرب"^(١١)، و"اللثغة": "أن يعدل بحرف إلى حرف"^(١٢)، و"الغنة": "أن يشوب صوت بالخيشوم، والغنة أشد منها"^(١٣)، و"الترخيم": "حذف الكلام"^(١٤) و"مئول": "وهو العيي القدم"^(١٥)، و"العيي": "وباقل رجل كان يعرف بالعيي فيقال: أعي من باقل، ويقال: بلغ من عييه أنه اشترى ظبياً، فسئل بكم اشتريت الظبي؟ فأخرج أصابع يديه ولسانه، أي بأحد عشر درهماً، فأقلت الظبي وذهب"^(١٦)، و"الأنوك": "العيي في كلامه، واحتج بقول الشاعر:

وَكُنْ أَنْوَكَ النَّوَكِي إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ وَكُنْ عَاقِلًا إِذَا مَا لَقَيْتَ ذَوِي الْعَقْلِ"^(١٧)

و"الحصير": "وقولهم قد حصير الرجل معناه: قد احتبس عليه الكلام وضاق مخرجه. وأصل الحصر عندهم الحبس والضيق..."^(١٨)، و"الضامز": "الساكت الذي لا يتكلم. وإذا لم يجتر البعير قيل: قد ضمزم ضموزاً. وناقاة

(١) الإبانة، المجلد ١، ص ٣٧-٣٨

(٢) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨

(٣) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٥) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٦) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٩

(٩) العوثبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٩.

(١٠) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤١

(١١) المصدر السابق، المجلد ١، ص ١٠٧-١٠٨

(١٢) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤١

(١٣) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤١.

(١٤) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤١.

(١٥) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٦٧

(١٦) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٩٩

(١٧) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ١٧١

(١٨) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٤٢٧

ضَمُوزٌ وضامز لا يُسْتَمَعُ لها رُغَاءٌ^(١)، و"الزَّمِيْت": "الساكن، والمتمزمت الساكن، وفيه زماتة"^(٢)، و"الصَمْت": طولُ السُّكُوت. قال داود عليه السلام: الصمت حكمٌ وقليلٌ فاعله"^(٣)، و"الفَدَم": العَي عن الحُجَّة والكلام"^(٤)، و"الفَنَد": يقع في مواضع كثيرة، منه الكَذِب، ومنه العَجْز، والسَّقَه، والجهل، واللَّوْم، والخَرْف، وتغَيَّرَ العقل. وأفَنَدَ الرجلُ: إذا تكلَّمَ بالفَنَد من الكلام، أو بلغَ وقتَ الهرم... ونقول: شيخٌ مُفَنَدٌ.. وأصلُ الفَنَد: الخَرْف، ثم قيل: أفَنَدَ الرجلُ: إذا جهَلَ وأصله ذلك"^(٥)، و"البَقْبَقَان": "ويقال للكثير الكلام بقبقان... وهي من حكاية صوتٍ كما يتبقي الكوز في الماء"^(٦)، و"التَّلْعُثم": "معناه توقَّف وتلبَّث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أخذَ عرضتُ عليه الإسلام إلا كانت له عنده كِبُوةٌ غيرَ أبي بكر، فإنه لم يتلعثم" الكبوة الوقفة"^(٧)، و"الجَمَجَمَة": "أن لا يثبِتَ كلامك من غير عي، قال:

لعمري لقد طال ما جَمَجَمُوا فما أخروه ولا قدَّموا^(٨)

و"الوشوشة": "كلام في اختلاط، وكذلك التشويش"^(٩)، ويوردها في موضع آخر من كتابه: "الوشوشة" كلام في اختلاط، وكذلك التشويش..."^(١٠)، و"اللَّجَجَة": "أن يتكلَّم الإنسان بكلام غير مُبِين، وهو لَجَج لسانه، وكلام مَلَجَج"^(١١)، و"التجَّت الأصواتُ إذا اختلطت وارتفعت. واللَّجَجَة: أن يُتكلَّم بكلام غير بَيِّن، وهو يُلَجِّجُ بلسانه"^(١٢) و"الرَّمْز": "على وجوه: يكون باللسان، وهو الصوت الخفي. ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم... ومثله الهمس"^(١٣)، و"اللُّغُوب": "شدة الإعياء، لَغَبَ يَلْغَبُ لُغُوباً أي عَيٌّ، ومنه قوله تعالى: (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)^(١٤) وإذا كان الكلام مختلفاً لا معنى له قيل: كلام لُغَبٌ، مأخوذ من اللُّغَاب وهو ريش السهم إذا لم يَعتَدَل، فإذا اعتدل فهو لُؤَامٌ..."^(١٥) و"اللُّغُو": "الكلام المختلف في معنى واحد، تقول لغا يَلُغُو لُغُوءاً، أي اختلط كلامه"^(١٦)، و"الهِذَاء": "كثير الهذيان، وهو كلام غير معقول مثل كلام المَبْرَسَم والمعتهو ونحوه..."^(١٧).

(١) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٨٨.

(٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٥٩.

(٤) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٥٨.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٨١.

(٦) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٧١.

(٧) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٣٢٢.

(٨) العوتبي، المصدر نفسه، المجلد ٢، ص ٣٦٠.

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٢٨٩.

(١٠) الإبانة، المجلد ٤، ص ٥٠٦.

(١١) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ١٦.

(١٢) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٣٦.

(١٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ١٦٦.

(١٤) القرآن الكريم، سورة فاطر، من الآية: ٣٥، وقوله تعالى: "وما مستنا من لُغُوبٍ"، سورة ق، من الآية ٣٨.

(١٥) الإبانة، المجلد ٤، ص ٢٢٢.

(١٦) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٢٢.

(١٧) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٥٧٩.

خامساً: أضواء لسانية على مصطلحات اضطرابات الكلام في كتاب الإبانة.

ونستطيع، باستعراض المصطلحات الخاصة بعيوب الكلام، ملاحظة أن العوتبي قد أورد جملة من المصطلحات الدالة على ما يعترى الكلام من معوقات ناجمة عن أثر اللّغة الأجنبية في نطق العربيّة، كالطّمنمة، واللّكنة، والعُجمة. فضلاً على استخدامه مصطلح الرّطانة الذي يُعزّر عن عائق تواصلٍ؛ بسبب جهل المُستقبل لّغة المُرسِل ومعنى كلامه. وتُعرف مجموعة هذه المصطلحات في الدراسات الحديثة باضطرابات تعدد اللّغة^(١).

ويمكن أن نلاحظ، كذلك، إيراد مصطلحات تدلّ على عيوب الكلام الصوتيّة والنطقيّة، كالحبسة والعقّة والعيّ والحصر والرمز والهمس والفُدم واللّغوب، وهي حالات يمتنع الصوت فيها لأسباب عديدة، فالحبسة ارتبطت بمثاله السيّاق بطول الصمت الذي أدّى إلى امتناع الكلام، مما يشير إلى سبب توقّف الصوت نتيجة حادثة أو مشكلة، والعقّة ارتبطت بوصف امتناع العضو الناطق عند إرادة الكلام، مما يشير إلى امتناع الصوت لعيّب عضويّ، والعيّ يدلّ على العجز عن الكلام - أي التعبير بالكلام عمّا في النفس - مع القدرة على استخدام الإشارة للتعبير عن المعنى المراد، والحصر يصف حالة احتباس الكلام بدلالة عامّة، فالحصر، لّغة، فيه ضيق ولكنه أقلّ استحكاماً من الحبس^(٢)، والرمز والهمس لا يظهر فيهما الصوت بصورة طبيعيّة؛ لمانع إراديّ أو لعلّة نفسية، تدفع الإنسان إلى التواصل همساً أو رمزاً، والفُدم يرتبط العجز فيه عن الكلام تارة وعن الحُجّة تارة أخرى، وكأنه يشير إلى الاحتباس المؤقت الناجم عن اختلال ذهنيّ، واللّغوب عجز عن الإفهام بسبب التّعجب، فلا يؤدي الصوت وظيفته التواصلية.

ويظهر حرص العوتبي على الإبانة عمّا تنطوي عليه المصطلحات من فروق دقيقة في مجال العيوب النطقية - فيما أورد من مصطلحات كالميثول، الذي تجتمع فيه صفة العجز عن التعبير عمّا في نفسه، وضعف القدرة العقلية لديه في إنتاج الكلام المترابط المبين الدلالة. فلملح لديه ربطاً - تسوّغه الدراسات اللسانية المعاصرة - بين الكلام والعمليات الذهنية. ويتعمّق هذا الملمح في إيراد العوتبي مصطلح "الفند" ليشير إلى ما يعترى المرء من عجز عن الكلام في بلوغه وقت الهرم، ويربط الدلالة اللغوية "وأصل الفند: الخرف"، بالدلالة المصطلحية: "ويقع في مواضع كثيرة منه الكذب، ومنه العجز، والسّفه... وتغيّر العقل، وأفند الرجل: إذا تكلم بالفند من الكلام، أو بلغ وقت الهرم".

كما يميّز العوتبي بين اضطرابات الصوت الفردية الناجمة عن علّة العيّ والعجز لدى الفرد - كالعقّة والعقّة والحبسة - وما يعوق التواصل من عوامل أخرى كاضطراب الصوت المُنتج وعدم إبلاغه المراد إلى المُستقبل، نحو الجَمجمة، والشوشة.

إضافة إلى ذلك، نستطيع أن نميّر - فيما ورد من مصطلحات عيوب الكلام الصوتية - بين ما يدلّ على امتناع الصوت لعلّة مرضية وما يكون لغير ذلك، فأورد العوتبي مصطلحات ودلالات يمتنع فيها الإنسان عن التواصل بالصوت، كالضامز، والساكت، والزميت، والصامت. وتشترك هذه المصطلحات في دلالتها على القدرة الكامنة في

(١) انظر لمزيد بيان: محاسيس، صهيب، "عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، ص ١١٢-١١٢.

(٢) يمكن أن يستدل على هذا الاختلاف الدلالي بين اللغويين بما أورده أبو هلال العسكري في كتابه الفروق في اللّغة، حيث ذكر: " (الفروق) بين الحصر والحبس أن الحصر هو الحبس مع التصبيق يقال حصرهم في البلد لأنه إذا فعل ذلك فقد منعهم عن الانفساخ في الرعي والتصرف في الأمور... قال أهل اللغة ويجوز أن يقال إن الحبس يكون لمن تمكنت منه والحصر لمن لم يتمكن منه وذلك أنك إذا حاصرت أهل بلد في البلد فإنك لم تتمكن منهم وإنما تتوصل بالحصر إلى التمكن منهم والحصر في هذا سبب التمكن والحبس يكون بعد التمكن" انظر: العسكري، أبو هلال (ت. ٣٩٥هـ) الفروق في اللّغة، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٧٧، ص١٠٧-١٠٨.

المرء على الكلام، وميل لعدم الحديث، مع تفاوتٍ دقيقٍ في مدلولاتها، فالصمت أطولُ زمنًا من السكوت، وقد يكون إرادياً لحكمةٍ وغاية، والضمور صفةٌ لحالة السكوتِ المخالفة لظفرة الإنسان شأن الناقه إذا امتنعت عن الاجترار، والزميت وصفٌ لحالة السكون وهي نقيضُ الحركة.

ومن فرطٍ عنابة العوتبي في التمييز الدقيق بين مفاهيم الحقل الواحد نجده يحرص على إيراد الفويرقات بين العيوب النطقية والصوتية، فيميز بين "الغنة" و"أخنة"، فيجعل الأخيرة أشد من الأولى مما يشوب الصوت في الخيشوم. وهو يوافق في هذا ما ظهر في "المخصص" إذ أورد: "والأغن الذي يجري كلامه في لهاته وهو الساقط الخياشيم وهي الغنة، والأخن المسدود الخياشيم وقيل هو الذي تخرج كلمته من خياشيمه...والخن أشد من الغن" (١). وتحمل بقية المصطلحات مفاهيم دقيقة في مجال عيوب الطلاقة، وأهم هذه المصطلحات: "الرتة"، و"التمتمة"، و"التأتأة"، و"الفأفة"، و"اللف"، و"اللثة"، و"الترخيم"، و"التعلم"، و"اللجة". وتؤكد هذه المصطلحات وغيرها من مصطلحات الطلاقة اللغوية: أن قدرة المرء على إنتاج الأصوات ورفضها ضمن قواعد تشكيل الكلمات والجمل ليست بالكافية وحدها لإنتاج كلام طبيعي، بل لابد من مراعاة مكونات أخرى وفي مقدمتها الطلاقة.

اضطرابات الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة.

أولاً: الطلاقة اللغوية: المصطلح والمفهوم والمجال.

يُدرج مكتبُ تنسيق التعريب-التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- في معجم المصطلحات الموحدة مقابلين عربيين للمصطلح الإنجليزي (Fluency) وهما "فصاحة، وطلاقة اللسان" (٢)، ويورد رمزي البعلبكي في "معجم المصطلحات اللغوية" مصطلح الطلاقة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي المذكور. (٣) ومن اللافت، في هذا السياق، ندرة عناية المعجمات المتخصصة (٤) في اللسانيات بإيراد المصطلح الإنجليزي فمقابلة في العربية، على الرغم من أهمية هذا المصطلح في الفروع اللسانية الحديثة، كاللسانيات النفسية (Psycholinguistics) واللسانيات العيادية (Clinical Linguistics).

وتُعرفُ الطلاقة (Fluency) بأنها ذلك الجانب من إنتاج الكلام، الذي يشير إلى اتصال العناصر اللغوية المرتبطة تركيبياً ارتباطاً وثيقاً (Continuity)، وسلاستها (smoothness)، ومعدل سرعتها (Rate)، والجهد (Effort) المبذول في نطق الوحدات اللغوية: الصوتية، واللفظية، والنحوية. (٥) كما تُعرف على أنها قدرة المتكلم على استخدام اللغة استخداماً لا يُخوِّجه إلى جهد في التفكير في الصيغ الصحيحة، وبالسرعة اللازمة للاتصال اللغوي العادي مع الآخرين (٦).

(١) انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (٤٥٧هـ/١٠٦٤م)، المخصص، دار الفكر، بيروت، لبنان، السفر الثاني، ص ١٢٠

(٢) انظر الموقع الإلكتروني لمكتب تنسيق التعريب:

<http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp?>

(٣) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic, Dar El-Ilm Lilmalayin, Beirut, Lebanon, 1990, p.195.

(٤) تأتي هذه الملاحظة عقب تتبع للمصطلح في عدد من المعجمات المتخصصة، كمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث، لمحمد حسن باكلاً، وآخرين، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وزميله، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، وقاموس المصطلحات اللغوية والأدبية لإميل يعقوب وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، وغيرها.

(٥) انظر تعريف الطلاقة الذي قدمته الجمعية الأمريكية للنطق واللغة والسمع (ASHA)، سنة عام ١٩٩٩.

(٦) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 195.

وتحظى الطلاقة اللغوية بعناية المشتغلين في حقل علم أمراض الكلام واللغة (Speech-Language Pathology)، الذي يدرس العيوب والاعتلالات الكلامية على اختلاف مستوياتها من البساطة أو الخطورة لمعرفة أسبابها ثم تحديد طرق تقويمها^(١). فيعرفها مقومو الكلام (Pathologists) بأنها خلو الكلام من أيّ عدول محسوس من سلاسته وجريانه المعهودين. وتُعرف لدى مقومَي الكلام — على نحو طبيّ (Clinical) خاص — بصورة مُقابِلة للعثمة (Stuttering)، لتصف بذلك الكلام المتتابع المتدفق الخالي من الانقطاع والتوقف^(٢).

كما تحظى الطلاقة اللغوية بعناية المشتغلين في حقل اضطرابات التواصل العصبية (Neurogenic Communication Disorders)^(٣)، الذي ينضوي في فرع اللسانيات العصبية (Neurolinguistics)، التي تعنى بدراسة وظائف الدماغ اللغوية في عمليات التحكم بالسمع والكلام، واكتساب اللغة، والاعتلالات الكلامية المؤثرة في التواصل اللغوي، وفقدان اللغة^(٤).

كما يُستخدم مصطلح الطلاقة اللغوية في مجال تعليم اللغات، ويشير إلى قدرة المتكلم العامّة وكفايته في التواصل الشفوي باللغة الجديدة. وفي هذا الاستعمال، تكون الطلاقة اللغوية مكافئة لمهارة إتقان اللغة المنطوقة. إضافة إلى هذا الاستعمال العام، تشير الطلاقة اللغوية على نحو مخصوص إلى سرعة إنتاج اللغة وتتابع عناصرها واستمراريتها وإيقاعها والجهد المبذول في نطقها. وقد لاحظ ونجيت (Wingate) أن الطلاقة اللغوية تشير نمطياً إلى اللغة المنطوقة، كما قد تشير إلى لغة الإشارة^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح الطلاقة اللغوية يحمل أكثر من مفهوم؛ لاستعماله في هذه المجالات العلمية المتباينة التي تشهد تطوراً علمياً ملحوظاً، مما قد يزيد إشكالية الاشتراك المصطلحي تعقيداً، ويجعل تداول المصطلح بين الدارسين محفوفاً بصعوبات التواصل العلمي، سواء أكان ذلك بين الدارسين الغربيين أم كان بين الدارسين العرب المعاصرين^(٦).

ثانياً: الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة في اللغة.

وعلى ضوء ما سبق، نلاحظ أن العوثبي قد أورد في كتاب الإبانة نموذجاً دالاً على الطلاقة، تمثل في خصائص فصاحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أنه كان يتبع بعض كلامه بعضاً، بين كلامه توقف،

(١) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 467.

(٢) انظر:

American Speech-Language-Hearing Association Special Interest Division 4: Fluency and Fluency Disorders. (1999, March). Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders: Guidelines, Asha, 41(Suppl.19), P.30

(٣) انظر:

Ibid., P.30

(٤) انظر:

Baalbaki, R., Ibid., p. 328

(٥) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders, Ibid., P.30

(٦) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders, Ibid., P.30

يفهمه سامعه ويعيه^(١)، وتتجلى في هذا الأتمودج جوانب بارزة من مفهوم الطلاقة، كسلاسة الكلام، واعتدال سرعة درجته وجرانيه توقفاً واتصلاً، وترابط عناصره اللغوية. والعوتبي فيما لاحظت - يُجيد تعريف مصطلحاته بما يسوقه من أمثلة، تبدي أبعاد خصائص المفهوم، وتُميِّزه.

ثالثاً: مصطلحات حقل الطلاقة: (نظرة مقارنة).

والعوتبي لم يُعن، كغيره من اللغويين العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بإيراد المصطلحات الدالة على الموصوف بالفصاحة والطلاقة. فنجد أبا منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م) يقدم في فصل "في حدة اللسان والفصاحة" مجموعة مصطلحات واصفة لحقل الطلاقة اللغوية، حيث أورد: "إذا كان الرجل حاداً اللسان قادراً على الكلام فهو ذرب اللسان، وفتيق اللسان، فإذا كان جيد اللسان فهو لسن، فإذا كان يضع لسانه حيث أراد، فهو ذليق، فإذا كان فصيحاً بيّن اللهجة فهو حذاقِي (عن أبي زيد)، فإذا كان مع حدة لسانه بليغاً فهو مسلاق، فإذا كان لا تعرّض لسانه عُقْدَةً ولا يحثيف بيانه عُجْمَةً، فهو مصقّع..."^(٢).

كما يسوق ابن سيده الأندلسي (ت. ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) في باب الفصاحة من كتابه "المُخصَّص"، مصطلحات مماثلة، وأخرى تفضّل ما ورد لدى الثعالبي، منها: "رجلٌ كِلْمائي، وتكلام، وتقولته، وقوال، ونبار، وملاق، ورجل طلق اللسان (أي فصيح)، وفلان طلق نطقاً وطلق ذليقاً، ورجل متتابع الكلام (أي محكمه)، ما أسقط بكلمة (أي ما طرحها)، وإذا أسرع الكلام ولم يتتبع قيل هذرم وقد هذرم السيف، قطع قطعاً سريعاً، وإذا أسرع الكلام وتابع بعضه في إثر بعض قيل إنه لكتكات^(٣).

ونستطيع، بالنظر فيما أورده الثعالبي وابن سيده من مصطلحات، ملاحظة ارتباطها الوثيق بمفهوم الطلاقة؛ لما تتضمنه هذه المصطلحات من إشارات إلى السرعة والتتابع والترابط، والخفة في نطق المتكلم، وظهور الصوت ووضوحه؛ لتشكل في مجملها نظرة شمولية للطلاقة اللغوية. كما نلاحظ ورود لفظ مصطلح الطلاقة - فيما أورده ابن سيده - باشتقاقاته المختلفة للدلالة على تتابع الكلام وتمايه.

رابعاً: الطلاقة اللغوية بين الدلالة اللغوية والدلالة المصطلحية.

تبين المعجمات العربية القديمة عن عدد من المعاني اللغوية التي تحملها مشتقات مادة "طلق" في العربية الفصحى، ومنها: الإرسال والتحرر، والسرعة، والبشر، والذلاقة والاستمرار، والعطاء السخي. وترد هذه المعاني، تأسيساً، في كتاب العين للخليل (ت. ١٧٥هـ / ٧٩١م)، حيث جاء: "...والطالق من الإبل ناقة ترسل في الحي ترعى من جنباهم أي حوالهم حيث شاعت، لا تعقل إذا راحت ولا تتحى في المسرح، وأطلقت الناقة وطلقت هي أي حلت عقالها فأرسلتها...الطليق: الأسير يُطلق عنه إيساره. وإذا خلى الظبي عن قوائمه فمضى لا يلوي على شيء قيل: تطلق...وإذا خلى الرجل عن الناقة على ما وصفت لك قيل: طلقها...والانطلاق: سرعة الذهاب في المحنة. وفلان طلق الوجه وطيّقه...طلق طلاقة، ويوم طلق، وليلة طلقة: نقيض النحس والنحسة...واستطلق البطن وأطلقه الدواء

(١) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٢٦

(٢) انظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت. ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)، كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، شرح: ياسين الأيوبي، ط ٣، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص ١٥١.

(٣) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٢-١١٨

فأسهل. ورجل طَلِقُ اللسان وطلَّقُ اللسان: ذو طلاقة ودلاقة، ولسانه طَلَّقُ ذلق أي مستمر. ورجل طَلَّقُ اليدين: سمح بالعتاء... وتَطَلَّقَتِ الخيل إذا مضت طَلَقًا لم تحتبس إلى الغاية...^(١)

ويعدّ ما ورد في كتاب العين من الأهمية بمكان؛ لما يحمله من تسجيل تاريخي لبدايات ظهور لفظ مصطلح الطلاقة، وظهوره مقترناً باللسان دالاً على الدلاقة والاستمرار، ولاشتماله على المعاني الأساسية لمشتقات "طلق". ولاحظتُ أنّ المعجمات القديمة المتأخرة لا تُغادر هذه المعاني الواردة في كتاب العين إلا نزرًا، ولا تكاد تندّ عنها، مع اتساع مادة "طلق" وتضخمها في هذه المعجمات المتأخرة.

فورد في جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م): "...ورجلٌ طَلَّقَ الوجه وطلق الوجه إذا كان بهلؤلاً ضحاكًا، وليلة طَلَّقَ ويوم طَلَّقَ إذا لم يكن فيه حرٌّ ولا بردٌ... وناقاة طالق لا خطام عليها، ورجل طَلَّقَ ذَلَّقَ وطلَّقَ ذَلَّقَ إذا كان طَلَّقَ الوجه ذَلَّقَ اللسان... والطلاق الأسير إذا أطلق والجمع طَلَقَاء... وما أبيض الطلاقة في وجه فلان أي البشاشة... ويقال للرجل أطلق يديك بالإنفاق والإطلاق ضدّ الإمساك، ويقال أطلق رجلك بالمشي أي أسرع..."^(٢).

كما ورد في مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): "(طلق) الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيح مطرّد واحد، وهو يدلُّ على التخلية والإرسال. يقال انطلق الرجل ينطلق انطلاقاً. ثمّ ترجع الفروع إليه، تقول أطلقتُه إطلاقاً. والطلق: الشيء الحلال، كأنه قد خلّي عنه فلم يحظر... وأطلقتُ الناقة من عقالها وطلقتها فطلقت. ورجل طَلَّقَ الوجه وظيفه، كأنه منطلق. وهو ضدّ الباسر لأن الباسر الذي لا يكاد يهش ولا يفسح ببشاشة. رجل طَلَّقَ اللسان وظيفه. وهذا لسانٌ طلق ذلق..."^(٣). وورد في الصحاح للجوهري (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م): "رجل طَلَّقَ الوجه وطلق الوجه، وقد طَلَّقَ بالضم طَلَقَةً. ورجل طَلَّقَ اليدين، أي سمح... ورجل طَلَّقَ اللسان وطلق اللسان. ولسان طَلَّقَ ذَلَّقَ وطلق ذَلَّقَ، وطلَّقَ ذَلَّقَ... وأطلقتُ الأسير، أي خلّيته... والانطلاق: الذهاب... وناقاة طالق... أي مرسلّة ترعى حيث شاءت..."^(٤).

ومما يستحقّ التنويه في هذه السياق أن ما ورد من معاني "طلق" في الجمهرة والمقاييس والصحاح يعكس تطوّر المصطلح لدى معجمي القرن الرابع الهجري، ويؤكد ثبات هذا اللفظ واستمراره. وأنّ ما ورد لدى ابن فارس يتّصف بالأهمية، إذ تأمّل ابن فارس في مادة "طلق" ورّد الفروع المختلفة من مشتقات المادة إلى أصل واحد هو التخلية والإرسال، فكان هذا الأصل الدلاليّ (المعجمي - الصرفي) مداراً للدلالات المعجمية الأخرى.

(١) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م) كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد - العراق، ١٩٨٢م، (مادة: قطل).

(٢) انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) جمهرة اللغة، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٤٥هـ، (مادة: قطل).

(٣) انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، (مادة: طلق).

(٤) انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، (مادة: طلق).

ولا يقف المُنتَبِع في المعجمات اللاحقة على معانٍ جديدة، وإنما يلحظ أنها تؤكد المعاني السابقة في صياغات لفظية وسياقية مُتجددة. فيذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) في لسان العرب "...الطالِقُ من الإبل: التي طُلِّقت في المرعى... وكذلك الخلية. وطلاقُ النساء لمعنيين: أحدهما حلُّ عَقْدَةِ النكاح، والآخر بمعنى التخليه والإرسال. ويقال للإنسان إذا عتق طَلِيقاً أي صار حرّاً...والطُّفَاء: الأسراء العُنُقَاء...وطُلِّقت يده ولسانه طُلُوقَةً وطُلُوقاً...ويكون الإطلاقُ بمعنى الترك والإرسال..."^(١).

ولعل ما يستحق الإشارة، هنا، ما أورده الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) في تاج العروس، حين ربط بين الطلاقة والفصاحة، أي استبدل الفصاحة بالذلاقة، وحمل المعنى في هذه الحالة على المجاز، فيقول: "ورجل منطلق اللسان، ومنطقه: فصيح، وهو مجاز"^(٢)، ويقول: "قال الصاغاني: ورجل طَلَّقَ اللسان، بالفتح والكسر، وطَلِيقه كأمير أي: فصيح وهو مجاز، وكذلك طَلَّقَ، كصُرْدَ. ولسان طَلَّقَ ذَلِقَ، فيه أربع لغات ذكرهن الجوهري: بالفتح، وطَلِيق ذَلِيق كأمير، وطَلَّقَ ذَلَّقَ، بضمين، طَلَّقَ ذَلَّقَ كصُرْدَ وأنكره ابن الأعرابي. وقال الكسائي: يقال ذلك. وقال أبو حاتم: وسئل الأصمعي في طَلَّقَ أو طَلَّقَ، فقال: لا أدري لسان طَلَّقَ أو طَلَّقَ. وزاد الصاغاني: لسان طَلَّقَ ذَلَّقَ، مثل كيف أي: ذو انطلاق وحدة..."^(٣).

وعلى ضوء ما سبق، يبدو التقارب والتضافر بين الداليتين اللغوية والمصطلحية جلياً، وإن لم يكن مثل هذا التقارب الدلالي شرطاً من شروط التأسيس المصطلحي، فإن وقوعه يقوي ثبات المصطلح ويمدّه بمقومات الشبوع والتداول. كما أن ورود هذا المصطلح في الموروث اللغوي المعجمي العربي واقترائه، في كل ما وقفت عليه من مصادر، بوصف الكلام - يكشف عن جذور المصطلح العميقة في العربية، ويدل على رسوخه وصلاحيته للتفرّد مصطلحاً مقابلاً للمصطلح اللساني (Fluency). وأن اقترائه بالذلاقة أو الفصاحة هو من قبيل التعريف بالمرادف فحسب.

خامساً: اضطرابات الطلاقة اللغوية (المصطلح والمفهوم).

يواجه المرء ابتداءً صعوبة في إيجاد مقابل دقيق للمصطلح الإنجليزي (Fluency Disorders)، فلم تبدُ جُلُّ المعجمات المتخصصة في المصطلحات اللسانية اهتماماً بترجمة المصطلح وإيجاد مقابل عربي له، غير أن قائمة الجزء الثاني من "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام" قد اشتملت على ترجمة للمصطلح -تعتمد عليها هذه الدراسة- هي "اضطرابات الطلاقة"^(٤).

ولا غرابة في أن تصرف جُلُّ المعجمات الاصطلاحية النظر عن ترجمة المصطلح (Fluency Disorders)، فهذه المعجمات قد وقعت في مشكلة ترجمة المصطلح العام (Speech Disorders)، الذي يحتوي في مجاله

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ١٩٥٥م، (مادة: طلق).

(٢) انظر: الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ن)، (د.م)، ١٩٨٥م، (مادة: طلق)

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس، (مادة: طلق)

(٤) انظر: صالح، عامر جبار، "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام"، (إنجليزي-عربي)، الجزء الثاني، (Fluency Disorders)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الآتي: www.arabization.org.ma.

المصطلح الخاص (Fluency Disorders)، فترجم مصطلح (Speech Disorders) "بعيوب الكلام أو أمراض الكلام"^(١)، وترجم "باعتلالات كلامية أو اضطرابات كلامية"^(٢)، و"باضطرابات الكلام"^(٣)، وتبرز مشكلة أخرى في ترجمة المصطلح حين نجد من يترجم المصطلح (Speech Defects) "بعيوب الكلام أو أمراض الكلام"^(٤)، و"بالعاهات الكلامية"^(٥)، وترجم "بالعيب الكلامي وبالعاهاة الكلامية"^(٦)، و"بعيوب الكلام"^(٧).

ومن المشروع، هنا، التساؤل: هل يعدّ المصطلحان: (Speech Disorders)، و(Speech Defects) مترادفين؟ يفرق رمزي البعلبكي بين المصطلحين بتخصيص الأول بالدلالة على عدم قدرة المتكلم على التواصل اللغوي نواصلاً سويّاً بسبب علة نفسية أو عصبية أو فيزيولوجية، وبتخصيص الثاني للدلالة على مبلغ هذا العيب حدّاً خطيراً يؤثر تأثيراً بالغاً في قدرة المتكلم على التواصل بسبب اضطراب أساسي في نظام تحكمه بالكلام، يطلق عليه الاعتلال الكلامي أو الاضطراب الكلامي^(٨).

وعليه، فالاضطراب (Disorder) يختلف في المفهوم عن العيب (Defect)، لذا فإن ما ورد لدى مكتب تنسيق التعريب من ترجمة المصطلحين بلفظ واحد يتطلب إعادة النظر لمواكبة التطور المفهومي في حقل اللسانيات العيادية، التي تعنى بدراسة عيوب الكلام ومشكلات الفهم وعلاجها^(٩).

وتتخذ هذه الدراسة مصطلح اضطرابات الطلاقة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Fluency Disorders)، وتتبنى الدراسة الحالية هذه الترجمة، أتباعاً للقائمة المشار إليها آنفاً، وتجنباً للسقوط في مشكلتي الترادف المصطلحي، والاشتراك المصطلحي، وتفادياً للوقوع في مأزق المحذور اللفظي للمصطلح، حيث يتضمّن لفظ المصطلح إحاءً يؤثر سلباً فيمن يتصفون بهذه الاضطرابات، وفي علاقتهم بمقومي الكلام، أو في الصياغة العلمية للمصطلح بتضمينه معنى غير مرغوب فيه أو مقصود في وصف الحالة، ومثال ذلك: استخدام مصطلح العاهة، أو الآفة، أو الإعاقة، وغيرها من الألفاظ المحتملة والدارجة في هذا الموضوع. وفي العموم فإن التلطف في صياغة المصطلحات

(١) انظر الموقع الإلكتروني لمكتب تنسيق التعريب:

[http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp?](http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp)

(٢) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 466

(٣) انظر: عامر جبار صالح، "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام"، (إنجليزي-عربي)، الجزء الأول، (Disorders/speech)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الآتي: www.arabization.org.ma.

(٤) انظر الموقع الإلكتروني لمكتب تنسيق التعريب: <http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp?>

(٥) انظر: باكلاً، محمد حسن، وآخرين، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص ٨٥.

(٦) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 466

(٧) انظر: صالح، عامر جبار، "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام"، (إنجليزي-عربي)، الجزء الأول، (Defects/speech)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الآتي: www.arabization.org.ma.

(٨) انظر:

Baalbaki, R., Ibid., p. 466

(٩) انظر:

Ibid., p.93

في الحقل الطبي يقتضي إعادة النظر في ألفاظ المصطلحات تجنباً للأثار السلبية التي تطال المعنيين في عملية التواصل: باحثين، ومرضى، وأطباء، ومقومين.

تعرف اضطرابات الطلاقة (Fluency Disorders) على أنها انقطاع يعترى جريان الكلام وسلاسته، وتحدد باعتماد سرعة الكلام النمطية، وإيقاعه، وتكرار الأصوات اللغوية والمقاطع والكلمات والجمل فيه، وينتج الكلام في توتر وجهد مُفرطين، وتكلفٍ إضافي^(١). كما تُعرف على أنها إضافة أصوات أو مقاطع أو كلمات إلى الكلام النمطي، أو تكرارٍ لهذه الأصوات والمقاطع والكلمات، أو مطلقاً للأصوات، أو تجنّب نطق بعض الكلمات، أو احتباس الكلام، أو عدم انتظام في الهوا للزّام للنطق (شهيماً وزفيراً)، وقد يصحب هذه الأنماط من عيوب الكلام إشارات جسدية، وبذلُ جهدٍ أكبر لإنتاج الكلام. ويستثني بعضُ الدارسين من اضطرابات الطلاقة ما قد ينجم من اضطراب الكلام بسبب الاختلافات اللهجية والثقافية، أو ما قد ينجم عن التحدّث باللّغة الأجنبية^(٢).

سادساً: مصطلحات اضطرابات الطلاقة في كتاب الإبانة. (نظرة مقارنة)

يقود النظرُ في كتاب الإبانة إلى الوقوف على عددٍ من المصطلحات الدالة على بعض أنماط اضطرابات الطلاقة على النحو الذي قدّمته الدراساتُ اللسانية المعاصرة في هذا المجال، وهي مصطلحات دقيقة ومُميّزة وواضحة في كثيرٍ من الأحيان.

ووقفت عقب الاستقراء التام في كتاب الإبانة على المصطلحات الآتية: الرّثة، التّمّمة، التّأتأة، الفأفأة، التّعثم، اللّجّجة. وهي مصطلحات مشهورة ومتداولة في الموروث اللغوي العربي، سواء أكان ذلك في عهد العوتبي أم كان بعده. كما أنّ هذه المصطلحات تشكّل جزءاً من المصطلحات الدالة على اضطرابات الطلاقة في الموروث العربي، فثمة مصطلحات لم ترد في الإبانة لكنها مصطلحات عربية في هذا الحقل، شأن: التّعّعة، والشّعّعة، والهزّعة والببّعة، وغيرها^(٣). ويضيق المقام عن تناولها وتفصيل القول فيها. وستكتفي هذه الدراسة بتناول مصطلحات اضطرابات الطلاقة في كتاب الإبانة لفظاً ومفهوماً، ومقارنتها بما جاء في بعض المصادر اللغوية التراثية، والدراسات المعاصرة.

أولاً: "الرّثة"، جاء المصطلح في الإبانة ليدلّ على "عجلة في الكلام، نقول: رجلٌ أرث". وقال ابن عباس: كانت فيه رّثة، ولم يكن يبين الكلام. والرّثة: كالريح تمنع منه أول الكلام، فإذا جاء منه شيءٌ اتّصل. والرّثة تكون غريزة... قال وهب: كان على طرف لسان موسى، عليه السلام، شامة، ولا يعرف أحدٌ، قبله أو بعده، في طرف لسانه شامة، وهي العقدة التي ذكرها الله، عزّ وجلّ، والعقدة في اللسان عقدة التّمّام^(٤).

وينطوي تعريف العوتبي للرّثة على خصائص مهمّة تؤكد اندراجها ضمن مصطلحات اضطرابات الطلاقة، فالرّثة سرعة زائدة في الكلام، وتؤثر تأثيراً بالغاً في قدرة المتكلم على التواصل بالكلام، واستمراريته. وهي غريزية. ويجمع العوتبي غير اتجاه في تعريف الرّثة، كالتعريف بها في سلوك المتكلم، أو التعريف بها بعلة وقوع

(١) انظر: <http://mi001.k12.sd.us/fluency.htm>

(٢) انظر: [http://aquilonis.hr/SNEP/Fluency disorders.htm](http://aquilonis.hr/SNEP/Fluency%20disorders.htm)

(٣) انظر: ابن سيده، المعصص، السقر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٤) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨

الاضطراب وسببه. وقلّ أن يعثر المرء في الموروث اللغويّ على تفصيلٍ بضاهي ما أورده الإبانة في الرتة من تفصيل القول تعريفاً وتوضيحاً.

ويدور هذا المصطلح في كتب اللغة ومعجمها بصورة لا تُغاير ما ورد في الإبانة، فذكر ابن فارس اللغوي: "يقولون: الرتة: العجلة في الكلام. ويقال هي الحُكْلة فيه"^(١)، وأشار الثعالبي إلى أنها "حُبسة في لسان الرّجل، وعَجَلَةٌ في لسانه"^(٢). وأورد ابن سيده: "والأرت الذي يجعل اللام ياء... في لسانه رتة وهو يتردّد في الكلمة وأن لا تكاد كلمته تخرج من فيه"^(٣). ويلحظ تقارب في مفهوم مصطلح الرتة لدى هؤلاء العلماء، وإن اختلفت العبارة. غير أن ما يستحق الوقوف عليه ما ورد في تعريف ابن سيده من إشارة إلى جعل الأرت اللام ياء، ومثل هذه الإشارة في التعريف قد نفهم على أنها تطوّر في مفهوم مصطلح الرتة، أو أنها تعريف للمصطلح يركّز على أثر الرتة في الأداء، فيظهر صوت اللام ياء نتيجة السرعة في النطق.

وقد دخل لفظ هذا المصطلح عدداً قليلاً من الدراسات العربية ومعجمات المصطلحات المعاصرة، فعرف في قاموس المصطلحات اللغوية بالآتي: "الرتة: هي عيب في نطق الكلام بسبب تعثر اللسان في اللفظ تعثراً ناتجاً عن السرعة والتعجل"^(٤).

ومع أن توظيف المصطلحات التراثية في التعبير عن المفاهيم اللسانية المعاصرة محمود في مثل هذا القاموس وغيره، إلا أن المتابعة الدقيقة لما يقدّم في الدراسات الغربية يُعدّ أمراً بالغ الأهمية، ومن الملحوظ أن فريق تصنيف هذا القاموس (ط١، ١٩٨٧م) لم يأخذوا بما استجدّ في حقل مصطلحات اضطرابات الطلاقة، فجاءوا بالرتة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Stammer)، ومن المعلوم، أولاً، أن هذا المصطلح الإنجليزي شائع الاستعمال في الدراسات البريطانية، ونادر الاستعمال في أمريكا الشمالية، ويُستخدم المصطلح (Stuttering)، في الغالب، بديلاً ومرادفاً له^(٥)، أما ثانياً، فنتيجة للتطوّر في حقل الدراسات اللسانية العيادية، وبخاصة، فقد ظهرت مصطلحات دالة على جوانب محددة ومعينة من اضطرابات الطلاقة، ولم يعدّ مقبولاً تعميم مصطلح واحد على الحالات المختلفة. لذا، انبثق مصطلحان رئيسان في اضطرابات الطلاقة، الأول: (Stuttering)، والثاني: (Cluttering). وعلى الرغم من تداخل المصطلحين في المفهوم وصعوبة التمييز بينهما في الدراسات التقليدية^(٦)، إلا أن المصطلح الأول قد خُصّص لاحقاً للدلالة على "الاضطراب الذي يصيب تواتر الكلام، إذ يعلم الفرد ما سيقوله، ولكنه في لحظة ما لا يكون قادراً على

(١) انظر: ابن فارس اللغوي، المقاييس، (مادة: رت).

(٢) انظر: الثعالبي، كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١

(٣) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٤) انظر: يعقوب، إميل، وآخرين، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص ٢١٣.

(٥) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Flucency Disorders, *Ibid.*, P.33

(٦) انظر لمزيد بيان حول المفهوم التقليدي لمصطلح (Stuttering): عطية، عيد الرحيم، عيوب النطق، نشرة رقم ١٣١، وجامعة اليرموك، مركز البحث والتطوير التربوي، والخدمات الطبية الملكية، القوات المسلحة الأردنية، ١٩٨٧م، ص ١

قوله؛ بسبب التكرار اللاإرادي أو الإطالة أو التوقف^(١)، ويشتمل هذا الاضطراب على تكرار للكلمات أو المقاطع أو الكلمات، و مطل للأصوات، وحبسة كلامية متقطعة^(٢). أما المصطلح الثاني (Cluttering) فخصص للدلالة على "الاضطراب الكلامي الناشئ عن اضطراب عصبي، متميز بسرعة شديدة تُفسد الإيقاع"^(٣) السوي للكلمات، ويحذف الأصوات أو نطقها نطقاً غير صحيح أو في غير موضعه، وغالباً ما تزداد سرعة النطق، في هذه الحالة، مع الاستمرار في الكلام^(٤)، وتذهب باربرا بيكر (Backer B.) و باتريشا بلاكويل (Blackwell P.) إلى أن هذا النمط يجعل الكلام مضطرب السرعة، ومتعثر الإيقاع، ومختل الجانب الموسيقي في الكلام ومختلطاً، وغالباً ما يجيء غير واضح. وصفوة ما يميز مفهوم (Cluttering) من غيره: سرعة الكلام الزائدة، ونقص تنظيم الأفكار^(٥).

وتأسيساً على ما سبق، من الجلي أننا إزاء مفهومين متكاملين في حقل الطلاقة، لكنهما مستقلان؛ لذا يغدو الميز المصطلحي بينهما على المستوى اللفظي مطلباً رئيساً؛ للدقة والوضوح وحسن التواصل بين الدارسين. وأحسب أن من التوفيق والحكمة اختيار مصطلح تراثي كالرثة؛ لما فيه من ملاءمة بين اللفظ والمفهوم، ورسوخ في الموروث اللغوي، ووضوح في الدلالة على مفهوم حديث هو (Cluttering). إذ واقع حال جل الدارسين والمعجميين-الذين وقفت على جهودهم- أنهم يناون عن مصطلح الرثة، ويستخدمون بدلا منه مصطلحات واصفة نحو: "السرعة الزائدة في الكلام"^(٦)، و"اللفظ"^(٧).

ثانياً: "التمتمة"، ورد تعريف مصطلح التمتمة في الإبانة "أن ترى اللسان يُخطئ موضع الحروف، فترجع إلى لفظ كأنه الناء والميم، وإن لم يكن بيئنا. والرجل تَمْتَمُ"^(٨). وبمقارنة ما جاء في الإبانة بغيره من المصادر التراثية، نلاحظ عناية عدد من لغويي القرنين الرابع والخامس الهجريين بتعريف هذا المصطلح، فأورد ابن دريد "التمتمة أن تتقل الناء على المتكلم"^(٩) وذكر الجوهري أن التمتمة "التردد في الناء"^(١٠)، وعرّف الثعالبي التمتمة في قوله: "أن

(١) انظر: السعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ٥، المجلد ٢، ٢٠٠٢م، ص ٧٩.

(٢) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, Volume 18, Number 2, March/April 2004, P.87

(٣) يقصد بالإيقاع (Rhythm)، هنا، توقيت انطلاق الوحدات اللفظية. انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٢.

Baalbaki, R., Ibid., , p. 95

(٤)

(٥) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, , P.87

(٦) انظر: صالح، عامر جبار، معجم مصطلحات علم النفس اللغوي، الجزء الأول (المادة: Cluttering)، وانظر: السعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، ص ٨٠

(٧) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 95

(٨) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨

(٩) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: تمتم).

(١٠) الجوهري، الصحاح، (مادة تمتم).

يتردد في وصف التاء^(١)، وجاء عند ابن سيده: "وإذا تردت في التاء قيل تَمَّتَمَ وقيل تَمَّتَمَ وقيل هو الذي يَعْجَلُ في الكلام ولا يكاد يفهمك"^(٢).

ومع اتفاق المصطلح لفظاً في هذه المصادر، إلا أن المفهوم يكاد يكون مختلفاً، وإن تشابه اتجاه التعريف، فنحت جميعها إلى وصف سلوك المتكلم المضطرب الكلام. ويبدو الاختلاف في حمل الاضطراب -عند العوتبي- على ظهور التاء والميم لنقل اللسان، وقصر المصطلح لدى ابن دريد والجوهري والثعالبي على ترداد التاء، وتوسع ابن سيده في المفهوم ليشمل ترداد التاء من ناحية والعجلة في الكلام من ناحية أخرى، ويجمع ابن سيده بما ذكر بين مفهومين - في الحقيقة - ينتميان إلى اضطرابات الطلاقة، ولكن كل واحد منهما ينتمي إلى اضطراب خاص من هذه الاضطرابات، فالرثة (السرعة في الكلام) مفهوم مستقل، والتأتأة (ترداد التاء) مفهوم يمكن أن يندرج في اضطرابات اللعنة (Stuttering)

وعليه، فأرى أن المصطلح الذي أورده العوتبي -وهو في الحقيقة مُستمدٌ لفظاً ومفهوماً من كتاب العين للخليل^(٣)- أولى بالنشر والتعميم، لدلالته على ترداد التاء وترداد الميم، ولو قصر العوتبي المصطلح على ترداد التاء كما فعل ابن دريد والجوهري والثعالبي لكان الأولى التخلي عنه لوجود مصطلح آخر -هو التأتأة- أقرب في صياغته المصطلحية؛ لدلالته المعجمية على تكرار التاء. وأحسب أن جمع التمتمة بين ترداد حرفين -حملهما المصطلح في دلالته المعجمية- يقدم لحقل اضطرابات الطلاقة مصطلحاً دالاً على حالة تجمع اضطرابين من هذا النوع في حالة الفرد المصاب بهما، فيكون المصطلح ذخيرة عندئذ تُوظف عند الحاجة إليها.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن ما أورده ابن سيده يحتمل وجوهاً، أحدها أن يكون التطور في المفهوم قد لحق بالمصطلح في مراحل تاريخية مختلفة، والآخر أن يكون ابن سيده قد جمع في مصنفه تعريفين مختلفين إتماماً لمادة معجمه. ومهما يكن، فالجمع بين نوعين مستقلين من اضطرابات الطلاقة في سلوك المتكلم كالرثة واللعنة أمر ممكن الحدوث^(٤) في ضوء بحوث اللسانيات العيادية، وعليه فقد يُستفاد من هذا المصطلح إذا كان المصاب يجمع بين هذين الاضطرابين، أي: العجلة في الكلام وترداد التاء.

ومع ذلك، فليس ثمة دليل ينفي أن يكون الثعالبي وابن سيده قد أوردا التمتمة مصطلحاً بديلاً عن التأتأة، إذ صرفاً النظر عن مصطلح التأتأة في مصدريهما، رغم ما كتب لهذا المصطلح -أي التأتأة- من الشبوع في المراحل اللاحقة والعصر الحديث.

ثالثاً: التلعثم، جاء في الإبانة أن التلعثم "معناه توقّف وتلبّث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أحدٌ عرضتُ عليه الإسلام إلا كانت له عنده كِبْرَةٌ غيرَ أبي بكر، فإنه لم يلعثم، الكبوة الوقفة"^(٥). ينضمّن هذا التعريف السياقي للتعثم معنى التوقّف، ويقدم التعريف هذا المعنى في موقف يستدعي فيه المثير (الدعوة إلى الإسلام) استجابةً قوليةً (قبولاً

(١) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١

(٢) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٣) انظر: الفراهيدي، كتاب العين، (مادة: تمتم).

(٤) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, P.88

(٥) العوتبي، الإبانة، المجلد ٢، ص ٣٢٢.

بالإسلام أو إعراضاً عنه)، إلا أن المتكلم خلا أبا بكر - رضي الله عنه - يتلثث ويتوقف. وصحيح أن التلعثم، هنا، عارضٌ مقيّد بالموقف إلا أن لفظ التلعثم حمل دلالةً تهينى لدلالة مصطلحية تُعبّر عن حالة من حالات اضطرابات الطلاقة، يُطلق عليها في اللسانيات العيادية مصطلح (Stuttering)، ينقطع فيها تواتر الكلام واتصاله ويتوقف، ولأسباب مختلفة، وراثية أو عصبية أو نفسية أو غيرها.

ولوحظ غياب لفظ اللعثة في كتابي الثعالبي وابن سيده، غير أن ابن سيده أورد لفظين يحملان معنيين قريبين من معنى اللعثة، وهما "التعته" و"الانخزال"، حيث يقول: "تعتت في كلامه لم يستمر فيه وكذلك تتعت" (١)، و"انخزل في كلامه انقطع وقال ارتبك في كلامه تتعت... (٢)". والمعنى الجامع بين اللعثة والتعته والانخزال هو انقطاع تواتر الكلام وتوقفه.

ويُشار في السياق التاريخي لظهور اللعثة مصطلحاً إلى أن المراحل الأولى لظهوره تمثلت باستخدام لفظه للدلالة على التوقف والتلثث، فورد في كتاب العين أن "التلعثم: التنتظر. لعتم عنه أي نكل عنه. وتلعتمت عن هذا الأمر أي نكلت عنه" (٣)، كما ورد لفظ المصطلح في جمهرة اللغة في تقديمه معنى "تتمت"، حيث جاء "تتمت الرجل عن الشيء، إذا توقف عنه وتكلم، فما تتمت ولا تلعثم بمعنى... (٤)".

والحق أن اللعثة ظلت مستخدمة في الموروث اللغوي بدلالاتها اللغوية فحسب حتى مرحلة متأخرة، ويبدو ذلك جلياً في لسان العرب فجاء: "تلعتم عن الأمر: نكل وتمكث وتأنى وتبصر، وقيل: التلعثم الانتظار. وما تلعتم عن شيء أي ما تأخر ولا كذب. وقرأ فما تلعتم وما تلعتم أي ما توقف ولا تمكث ولا تردد، وقيل: ما تلعتم أي لم يُبسط الجواب. في الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت فيه كبوّة إلا أن أبا بكر ما تلعتم أي أجاب من ساعته أول ما دعوته ولم ينتظر ولم يتمكث وصدق الإسلام ولم يتوقف. وفي حديث لقمان بن عاد أنه قال في أحد إخوته: فليست فيه لعنة إلا أنه ابن أمة؛ أراد أنه لا توقف عن ذكر مناقبه إلا عند ذكر صراحة نسبه فإنه يُعاب بهجنته. ويقال: سألته عن شيء فلم يلعثم ولم ينعثم ولم يتمتم ولم يتمرغ ولم يتفكر أي لم يتوقف حتى أجابني" (٥).

وفي العموم، فإن لفظ اللعثة يحمل دلالةً معجميةً توطئ لقبول مفهوم لساني معاصر، يُطلق عليه في الإنجليزية - كما هو معلوم - مصطلح (Stuttering)، الذي يحظى بأهمية بالغة في حقل اضطرابات الكلام والطلاقة اللغوية، وقد نال عناية جمة في الدراسات الغربية. لذا، فإيجاداً مقابلاً دقيقاً له في العربية وتوحيده مطلبان أساسيان، للنهوض بالدرس اللساني العربي المعاصر.

(١) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٢) المصدر السابق، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤.

(٣) الفراهيدي، كتاب العين، (مادة: تلعتم).

(٤) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: ت م ث م).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: لعتم)

ويلاحظ أن معجمات المصطلحات والدراسات العربية لم تستخدم مقابلاً موحداً لمصطلح (Stuttering)، ومن أهم المصطلحات العربية المستخدمة: التلعثم (عاهة كلامية)^(١)، "اللعممة"^(٢)، "التتبع"، و"الرتة"، و"الحبسة"، و"العقدة"، و"اللكنة"^(٣)، فأفأة^(٤)، وتأتأة^(٥)، وتمتمة، وتلعثم^(٦)، والتلججة^(٧).

وغني عن القول، أن كثيراً من هذه الترجمات لا ينبغي أن تنال القبول، لما فيها من تجاهل للفروق الدقيقة التي تفصل بين دلالات هذه المصطلحات في التراث اللغوي العربي. ويعد مصطلح التأتأة أكثر المصطلحات ملائمة للعممة واستخداماً في مقابل المصطلح الإنجليزي^(٨)، ويعوق قبوله مقابلاً للمصطلح الإنجليزي فيما أرى -دلالته في التراث العربي على ترداد صوت التاء، فهو أصدق في دلالته على خصيصة من خصائص اللعممة (Stuttering)، هي التكرار أو التردد.

وتقترح الدراسة الحالية اتخاذ مصطلح اللعممة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي، لما ينطوي عليه هذا اللفظ من دلالة معجمية تعبر عن خصيصة بارزة في مفهوم المصطلح الغربي، هي انقطاع نواتر الكلام والتردد في إنتاجه. ولعل أهم علامات اللعممة (Stuttering): المقحمت (Interjections) مثل: "أم"، "آ" وغيرهما، وتكرار جزء من الكلمة (Word Repetition): أي إعادة الأصوات أو المقاطع، وإعادة الكلمة بأكملها (Whole Word Repetition)، وإعادة العبارة (Phrase Repetition) مثل: "أنا كنت...أنا كنت ذاهب"، والمراجعة (Revision) مثل: أنا كنت...أنا أريد الذهاب، وعبارات ناقصة (Incomplete Phrases)، والأصوات الممتولة (Sound Prolongation)، وحبس تيار الهواء حبساً تاماً مصحوباً بتوتر شديد في أعضاء النطق (Blocks)، والوضوح السماعي بتوتر شديد، وتكرار صامت لجزء من الكلمة (Silent Repetition)، ومطّ صامت للأصوات (Silent Prolongation)، وخشونة في الصوت وارتفاع مفاجئ في طبقة الصوت خلال تكرار المقاطع^(٩).

(١) انظر: باكلا، حسن، وآخرين، معجم مصطلحات علم اللغة، (١٩٨٣م)، (مادة:Stammer).

(٢) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، (١٩٨٧م)

(٣) انظر: يعقوب، إميل، وآخرين، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، (١٩٨٧م)

(٤) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p., 477، (١٩٩٠م)

(٥) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p., 477، والسعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، ٧٩، (٢٠٠٢م)

(٦) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p., 470

(٧) انظر: محاسيس، صهيب سليم، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، ص ١٥٣

(٨) انظر: السعيد، حمزة خالد، التأتأة المظاهر والأسباب وطرق العلاج، مجلة التربية، العدد ١٤٠ آذار، قطر، ٢٠٠٢، ويعرف التأتأة -

في دراسته - بأنها " اضطراب يصيب نواتر الكلام وسلاسته وانسيابه بحيث يعلم الفرد ما سيقوله تماماً إلا أنه لا يكون قادراً على قوله، ويتمثل مظاهر التأتأة بتكرار بعض الأصوات، أو بعض المقاطع والتوقف المتكرر أثناء النطق"، (ص ٢٠٩).

(٩) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٢، ٣.

وتصاحب اللعثة عوارضٌ ظاهرية كزيادة النشاط العضلي وبروز المقاطع الكلامية الدخيلة ووقوع تغيرات غير طبيعية في الصوت، وظهور ردود فعلٍ جلدية، وغيرها^(١).

وعلى ضوء هذه الخصائص والعلامات والظواهر المصاحبة للعثمة، نستطيع فهم دلالة المصطلحات الآتية ومجالاتها:

أولاً: التأتأة: يدل لفظ "التأتأة" في كتاب الإبانة على: "الترداد في التاء"^(٢)، وحمل اللفظ هذه الدلالة المصطلحية في مرحلة لاحقة على كتاب العين وجمهرة اللغة، وتتقارب دلالة هذا المصطلح في هذين المصدرين، فجاء في العين: "التأتأة في الصوت، وتأتأت بالتيس عند السفاد"^(٣)، وجاء في الجمهرة "تأتأت بالتيس إذا قلت له تأتأ لينزو"^(٤). ولعل اكتساب اللفظ دلالة الاصطلاحية ظهرت ابتداء في كتاب الصحاح للجوهري، إذ قال: "رجل تأتأ على فغلل وفيه تأتأة يتردد في التاء إذا تكلم". ويلاحظ إعراض الثعالبي وابن سيده عن ذكر التأتأة في كتابيهما، مما قد يكشف عن تأخر ظهور دلالة التأتأة الاصطلاحية.

ومما ينبغي ذكره أن مصطلح التأتأة استقر في المعجمات المتأخرة وحمل الداليتين اللغوية والاصطلاحية، فيورد اللسان "تأتأ التيس عند السفاد يتأتأ تأتأة ويتأتأ لينزو ويقبل. ورجل تأتأ، على فغلل، وفيه تأتأة: يتردد في التاء إذا تكلم. والتأتأة: حكاية الصوت. والتأتأة: مشي الصبي الصغير؛ والتأتأة: التبخر في الحرب شجاعة..."^(٥)، وأكد تاج العروس هذه المعاني، حيث تضمن: "التأتأة: حكاية الصوت تقول: تأتأت به. والتأتأة تردد التأتأة في التاء إذا تكلم. والتأتأة دعاء التيس المعزى للسفاد، وفي العباب: إلى العيب كالتأتأة بحذف الهاء. والتأتأة هي أيضا مشي الطفل الصغير، وفي العباب: الصبي، بدل الطفل. والتأتأة التبخر في الحرب شجاعة"^(٦).

أما معجمات المصطلحات والدراسات العربية المعاصرة فقد حفلت بهذا المصطلح-كما تبين آنفاً- ووضعتة مقابل للمصطلح (Stuttering)، وتقرح الدراسة الحالية تخصيص هذا المصطلح للدلالة على اضطرابٍ محدّد من أنماط اللعثة، يكون الفرد فيه مصاباً باضطراب تكرار صوت التاء بخاصة أو ظاهرة تكرار الأصوات الشديدة - الانفجارية بعامة، في حين يوظف مصطلح الفأفة للدلالة على نوع آخر من أنماط اللعثة هو تكرار الفاء أو تكرار الأصوات الرخوة.

وربما تقابل التأتأة-على اتساع-مصطلحاً في اللسانيات العيادية هو (Palilalia)، ويقصد به: "تكرار غير سوي (مرضي) وغير إرادي للكلمات أو العبارات المنطوقة"^(٧)، وأقترح أن ندخر مصطلح التأتأة ليقابل ما قد يستجد مستقبلًا في حقل اللسانيات العيادية من مفاهيم، كتكرار صوت التاء أو تكرار صوت شديد، لصالحية التأتأة للدلالة

(١) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٤.

(٢) العونكي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨

(٣) الفراهيدي، كتاب العين، (مادة: تأتأ)

(٤) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: ت أت أ)

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: تأتأ)

(٦) الزبيدي، تاج العروس، (مادة: تأتأ)

(٧) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p., 356

على مثل نينك المفهومين. ومن المعلوم أن السابقة (Pali) التي تعني مُعاود أو مكرّر أو تكرار مرضي - قد توظف لتمثل هذه المفاهيم المتوقّعة استحداثها في مجالٍ علميٍّ ناهضٍ كاللّسانيّات العياديّة.

ثانياً: الفأفة: وهو من المصطلحات القليلة التي يلحظ إجماعُ جُلِّ اللّغويين على إيراد لفظها والتقارب في تعريفها، وابتداء ظهورُ اللفظ مصطلحاً دالاً على الاضطراب الكلامي مبكراً، فعُرّف في كتاب العين: "الفأفة في الكلام: إذا كان الفاء يَغْلِبُ على اللسان... فأفا فلان في كلامه يُفأفئ فأفاة. ورجل فأفاة، وامرأة فأفاة"^(١)، وعُرّف في جمهرة اللغة: "الفأفة الحُبسة في اللسان - عربي معروف..."^(٢). ويؤسّس الجوهري في الصحاح لتعريف يطغى في عبارته على تعريف المصطلح في المصادر اللاحقة، إذ عرّف المصطلح في قوله: "رجل فأفاة على فَعَلال، وفيه فأفاة، وهو الذي يتردد في الفاء إذا تكلم"^(٣). ولا تكاد المصادر اللاحقة تغادره، فعرفه الثعالبي في قوله: "أن يتردّد في (الفاء)"^(٤)، وعرفه العوتبي في الإبانة على أنه: "التّرْدَادُ في الفاء"^(٥)، وجرى نحو هذا ابن سيده فأورد: "إذا تردّد المتكلم في الفاء قيل فأفا وهو فأفاة وفأفا وقيل الفأفاة الذي يعسر عليه خروج الكلام"^(٦). ويبدو أن المصطلح قد استقرّ في المعجمات المتأخّرة على هذا التعريف، فجاء في اللسان: "فأفا: للفأفاة، على فَعَلال: الذي يُكثِرُ تردّد الفاء إذا تكلم. والفأفاة: حُبسة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام. وقد فأفا. ورجل فأفا وفأفاة، يمدّ ويقصر، وامرأة فأفاة، وفيه فأفاة. الليث: الفأفاة في الكلام، كأن الفاء يَغْلِبُ على اللسان، فتقول: فأفا فلان في كلامه فأفاة. وقال المبرّد: الفأفاة: التّرْدِيدُ في الفاء، وهو أن يتردّد في الفاء إذا تكلم"^(٧).

وفي العموم، فتعريف اللّغويين العرب لهذا المصطلح يبنّي على ملاحظة سلوك الفرد المصاب، حيث يكون فيه الملمح الأبرزُ تردّد صوت بعينه هو الفاء، أو مدّ الصوت اللّغوي وقصره فيما أشار إليه ابن منظور، وكلُّ ذلك مرده إلى الحُبسة في المنطق. ولهذا، فهو - فيما تذهب إليه هذه الدراسة - مصطلح دالٌّ على نمط من أنماط اللّعنة، إذ ينطبق على الفأفاة عددٌ من علامات اللّعنة وعوارضها، كتكرار الصوت اللّغوي ومطله. ومن فرط العناية بهذا المصطلح في العصر الحديث أن حمّله البعلبكي مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Stuttering)^(٨). وتقترح الدراسة الحاليّة تخصيص هذا المصطلح للدلالة على التكرار المرضي للأصوات الاحتكاكية، ومطلها. وغيرُ خافٍ ما ينطوي عليه هذا المصطلح من قرب الدلالة الاصطلاحية من الدلالة اللّغوية، فيحاكي في بنية لفظه الصوتية مدلوله المفهومي، ولتمثل هذا التعاضد شأنٌ في استقرار المصطلح وشيوعه.

ثالثاً: "اللّجّة": ظهر لفظ اللّجّة بدلالته الاصطلاحية في مرحلة مبكرة، وحمل اللفظ هذه الدلالة إلى جانب الدلالات اللّغوية الأخرى، فورد في كتاب العين: "...ولجّج القوم: دخلوا في لجةٍ وبحرٍ لجيٍّ أي واسع اللّجة. والتجّج

(١) الخليل، كتاب العين، (مادة: فأفا).

(٢) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: ف أ ف أ).

(٣) الجوهري، الصحاح، (مادة: فأفا).

(٤) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١.

(٥) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨.

(٦) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤.

(٧) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة: فأفا).

(٨) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p.,477.

الظلام: اختلاط، والأصواتُ اختلطت وارتفعت. واللَّجَجَةُ: كلام الرجل بلسانٍ غير بَيِّن، وهو يُلَجِّجُ لسانه، وقد تَلَجَّجَ لسانه... وكلامٌ مَلَجَجٌ: مُختلَطٌ. وفلانٌ يَلِجُّ بالشَّيءِ أي يُبادِرُ به فيؤخِّدُ، يقال: تَلَجَّجَ داره أي أخذها منه...^(١). وتعريف اللُّججة في العين لا يصفها بدقة، ولا يميِّزها من غيرها من اضطرابات الكلام، وإنما يبرز صفة الاختلاط في الكلام المَلَجَج، فيُلَمَحُ ضمناً إلى تأثيره السلبي في التواصل اللُّغوي من جهة المستمع، كما يبرز التعريف علّة اللُّججة، ويرجعها إلى اضطراب حركة اللسان. ويبدو أن تعريف اللُّججة تشكّل أساساً في حدود ظلال المعنى اللُّغوي، أي الاختلاط. ولم يقدّم جمهرة اللغة ما يسعف في إنارة هذا المصطلح، بل ظلّ دور في فلك تعريف كتاب العين، فورد فيه: "لجج الرجل لَجَجَةً إذا لم يُبَيِّنْ كلامه، ورجل لجلج إذا كان كذلك... ويقال لجلج اللقمة في فيه إذا أدارها ولم يُسغها..."^(٢)، كما ورد في موضع آخر منه "ولجّ يَلَجُّ لجاجة إذا محك الأمر وسمعت لجة القوم أي أصواتهم واللجة لجة..."^(٣). وفي ضوء ما تقدّم جاء تعريف اللُّججة في الإبانة، حيث ورد "أن يتكلم الإنسان بكلام غير مُبَيِّن، وهو لَجَجَ لسانه، وكلامٌ مَلَجَجٌ"^(٤)، و"التجّت الأصوات إذا اختلطت وارتفعت. واللَّجَجَةُ: أن يُتَكَلَّمَ بكلام غير بَيِّن، وهو يُلَجِّجُ بلسانه"^(٥).

ويلاحظ أن ابن فارس قد تجاوز بفكره اللُّغوي الثاقب - في المقاييس - ما وقَرَ في الأذهان من معاني اللُّججة ودلالاتها اللُّغوية، فكشّف عن الأصل الجامع للام والجيم، واستنبطه في الدلالة على تردّد الشيء بعضه على بعض، وترديده، حيث قال: "اللام والجيم أصلٌ صحيح يدلُّ على تردّد الشيء بعضه على بعض، وترديد الشيء. من ذلك اللُّجاج، يقال لَجَّ يَلَجُّ، وقد لَجِجَتْ على فَعِلت لَجَجاً ولَجَجاً. ومن الباب لُجُّ البحر، وهو قاموسه، وكذلك لُجَّتْ، لأنه يتردّد بعضه على بعض. يقال النجج البحرُ التجاجاً... لجلج الرجلُ المُنْصَغَةُ في فيه، إذا رَدَّها ولم يُسغها... واللُّجلاج: الذي يُلَجِّجُ في كلامه لا يُعرب. واللُّجَّة: الجَلْبَةُ... ويقولون: في فوادٍ فلانٍ لجاجة، وهو أن يَخْفِقَ لا يسكن من الجوع... واللُّجاجُ الظلام: اختلاطه، وهو مشبّه بالتجاج البحر. ويُستعار هذا فيقال عينٌ مُلْتَجَّةٌ: شديدةُ السواد^(٦). وبهذا تتضاف معانٍ لغوية جديدة تُمكنُ للفظ اللُّججة أن يحملَ دلالة اصطلاحية مُميّزة. وأهمّ معنيتين: اختلاط الأصوات، وتردد الشيء وترديده. أما على مستوى الدلالة الاصطلاحية فلا يزال المصطلح في هذه المرحلة غامضاً، وقد يُفهم ربطُ اللُّججة بنفي الإعراب في كلام ابن فارس، على أنه إشارة إلى تأثير اللُّججة في الإفصاح والطلاقة.

وعلى العموم، نجد الاختلاط والتردد ينتقل إلى تعريف اللُّججة عند الثعالبي، فيعبّر عن سلوك المتكلم في إدخاله الكلام بعضه في بعض مصحوباً بحُبْسَةٍ، وانقطاع سلسلة الكلام المعهودة، إذ عرّف اللُّجلاج على أنه الذي "يكون فيه عيٌّ وإدخالُ بعض الكلام في بعض..."^(٧). وتتجلى هذه الصفة بصورة أوضح عند ابن سيده، حيث يقول: "الأليغ الذي لا يُبَيِّن الكلام ويرجع كلامه إلى الياء... فإذا تتنعت ومضغ الكلام ولم يخرج بعضه في إثر بعض قيل لَجَجَ

(١) الخليل: كتاب العين، (مادة: جل) .

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: لجلج).

(٣) المصدر السابق، (مادة: ليج).

(٤) العوتبي، الإبانة، المجلد ٣، ص ١٦.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٣٦.

(٦) ابن فارس، المقاييس، (مادة: ليج).

(٧) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١.

ومنهُ سُمِّي الرجل لَجَلَجًا... اللَجَلَج الذي سَجِيَّة لسانه يَقَلُّ الكلام ونَقْصه^(١). ويُلاحظ في تعريف ابن سيده الربط بين اللغج والتعنتة واللججة، وكأن الواحد يُفْضي إلى الآخر ترتيباً. وعليه، تغدو اللججة اضطراباً لأنها حالة مُتقدِّمة دائمة - لا مؤقتة - من انقطاع سلاسة الكلام وتدقِّقه، فمضغ الكلام تعبيرٌ مجازي، قد يُفهم منه تقطُّع وقصورٌ في تدفق الهواء اللازم لإنتاج الكلام في الحجرة الفموية، مما يؤدي إلى إنتاج كلام بطيء يعتريه التردد.

ويحتوي لسانُ العرب الدلالات اللغوية العديدة في اللججة، وهي دلالات تعمق أبعاد المصطلح، وتبين عن الصلة الوثيقة بين المستويين اللغوي والاصطلاحي^(٢). كما يضم المعجم تعريفات مصطلح اللججة المختلفة، فيرسخ بهذا استمرار استعمال هذا المصطلح، ويعكس أهميته في الموروث العربي، فورد فيه: "...واللججة: قَلُّ اللسان، ونقصُ الكلام، وأن لا يخرج بعضه في أثر بعض. ورجل لَجَلَجٌ وقد لَجَلَجَ وتَلَجَجَ... وقيل: اللَجَلَجُ الذي يجول لسانه في شدقه. التهذيب: اللَجَلَجُ الذي سَجِيَّةُ لسانه يَقَلُّ الكلام ونَقْصه. الليث: اللَجَلَجُ أن يتكلم الرجل بلسان غير بَيِّنٍ، ومَنطِق بلسانٍ غير لَجَلَجٍ... واللَجَلَجُ والتَلَجَجُ: التَرَدُّدُ في الكلام..."^(٣).

ويظهر مصطلح اللججة في العصر الحديث على نحوٍ شائع في المقالات والدراسات التربوية والنفسية، غير أن استخدامه في كثير منها جاء مختلطاً ومشوشاً^(٤). فاستعمل في بعضها على نحو مخلٍ بالتواصل المصطلحي، حيث ورد: "اللججة اصطلاحٌ يشير إلى "التمتمة"، و"الفأفة" و"التأتأة" في النطق..."^(٥).

واستعمل في بعض الدراسات العلمية - التربوية مرادفاً للعثمة (stuttering)، نحو دراسة عبد العزيز سليم الموسومة بـ"مدى فعالية برنامج علاجي تكاملي متعدد الأبعاد في علاج بعض حالات اللججة لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية"، ٢٠٠٤م. وعرف فيها الباحث اللججة على أنها: "اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقته مما يؤثر في انسياب الكلام بتضمين التكرارات اللاإرادية للأصوات أو الحروف أو الكلمات أو إطالتها أو التوقف اللاإرادي في أثناء الكلام، ويصاحب ذلك حركات لا إرادية للرأس والأطراف، وسلوك التفاذي وردود الأفعال الانفعالية كالخوف والقلق وانخفاض درجة تقدير الذات لدى المتلجج"^(٦). وتصدق مكونات هذا التعريف على العثمة.

(١) ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٢) للوقوف على هذه الدلالات اللغوية، ابن منظور، لسان العرب، (مادة: لجج)

(٣) المصدر السابق، (مادة: لجج)

(٤) تبدو مثل هذه الظاهرة من الارتباك والاضطراب في استعمال المصطلح واضحة في المقالات المنشورة في المجلات الثقافية وعلى المواقع الإلكترونية، وهي من الكثرة بمكان، وتأثيرها في نشر المصطلحات وتداولها أمر بالغ الخطورة. انظر على سبيل المثال: "التعتم (اللججة أو التهتة)" لطلعت حكيم، المنشورة على: (<http://st-talka.org>)، و"اضطرابات الكلام" للنطق" للناجمة عن ضعف القدرة العقلية لدى الطفل" المنشورة على: (www.gulfkids.com)، و"اللججة في الكلام وأسبابها النفسية" لصبحي عبد اللطيف المعروف، المنشورة على: (www.balagh.com)، وغيرها.

(٥) انظر: مختار، وفيق صفوت، "أمراض الكلام عند الأطفال وطرق علاجه"، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني: (www.balagh.com).

(٦) انظر: سليم، عبد العزيز إبراهيم أحمد، "مدى فعالية برنامج علاجي تكاملي متعدد الأبعاد في علاج بعض حالات اللججة لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية"، (رسالة ماجستير: إشراف شاكر عطية قنديل ومحمود فتحي عكاشة، وعادل السعيد البنا)، جامعة الإسكندرية، كلية التربية بفرع دمنهور، قسم علم النفس التربوي، ٢٠٠٤م، ص ٤ من ملخص الرسالة المنشور على: (www.gulfkids.com).

وحملت دراسة عربية أخرى في طيّ عناوينها مصطلح اللّججة، وهي دراسة سهير أمين الموسومة بـ"اللّججة: المفهوم، الأسباب، العلاج"، ٢٠١٠م، مما له كبير الأثر في شيوع المصطلح وتداوله، وجاء تعريف مصطلح اللّججة فيها: "اضطراب في تدفق الكلام وسلاسته (smooth flow of speech)، بسبب أزمة توقفيّة وتكراريّة (tonic and clonic spasm) مرتبطة بوظائف التنفّس والنطق والتشكيل (الصياغة)"^(١).

ولعل هذا التعريف الأخير للّججة يكون قريباً في دلالاته من دلالة المصطلح في الموروث اللّغوي العربي، مما يُمكن لهذا المصطلح العربي من النفاذ والشيوع بدلالة ممتدّة في تاريخ الدراسات اللّغويّة العربيّة، ومواكبة التطور اللساني في حقل اضطرابات الكلام واضطرابات الطلاقة في العموم، واضطرابات اللّعمة على وجه الخصوص. فالمصطلح يصلح في معناه اللّغوي والاصطلاحيّ العربيين للدلالة على نمط من أنماط اللّعمة يرتبط باضطراب توقفيّ أو تكراريّ يعوق تدفق الهواء، فيؤدي إلى اضطراب إيقاع الكلام (=توقيت انطلاق وحدات الكلام)، ينجم عنه عدم انتظام في الوحدات اللفظيّة، فيبدو الكلام لدى السامع كلاماً مختلطاً، لا "يخرج بعضه في إثر بعض" حسب ما ورد في لسان العرب.

الخاتمة:

تتلخص أهم نتائج هذه الدراسة فيما يأتي:

أولاً: أبدى الباحثون المعاصرون عناية جادة في دراسة جهود القدامى في مجال عيوب اللغة والكلام، وتفحصها في ضوء معطيات الدرس اللساني المعاصر، وكشفت الدراسة أن البحث المستفيض في كتابات العرب القدامى، وبخاصة في كتابات اللغويين منهم، لا يزال مشرعاً على مصراعيه لاتساع هذا المورث وغناه، وقلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال كمّاً ونوعاً.

ثانياً: تضمنت الدراسات اللغوية السابقة في كتاب الإبانة للعوتبي إشاراتٍ عابرةً إلى مصطلحات اضطرابات الكلام في مواطن استعراضها محتوى الكتاب، مما شكّل مسوغاً مشروعاً للنهوض بهذه الدراسة المتخصصة، وربطها بمعطيات الدرس اللساني المعاصر، تعميقاً لفهم الموروث المصطلحي العربي، وإغناءً للدرس العربي الحاضر والمستقبلي.

ثالثاً: جاء اهتمام العوتبي باضطرابات الكلام منسجماً نهجاً وتطبيقاً مع توجه سابقه ومعاصريه: لغويين ونحويين وبلاغيين. فتوجه -كغيره- إلى استنباط خصائص الفصاحة والبيان في مستويات العربية الفصحى، وترسيخ القواعد الناظمة لهذه الخصائص، وردّ ما يخالفها أداءً وفهماً، وتقديم النماذج اللغوية الفصحى ليقندي بها متعلمو العربية ويتمثلوها في إنتاجهم اللغوي.

رابعاً: قارب اللغويون العرب بعامة، والعوتبي بخاصة، اللسانيين المعاصرين - في حقل اللسانيات التواصلية- في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها في المجتمع، وعلاقتها بالأفراد والمجتمع، ودورها في عملية التواصل اللغوي، إذ تمثّل محافظة اللغويين العرب على النمط اللغوي الفصيح وعياً بوظيفة اللغة في التواصل الاجتماعي، وأهميتها في توحيد المجتمع. وأظهر العوتبي في هذا السياق اهتماماً بأركان التواصل اللغوي (المُرسل، والمستقبل، وأداة الإرسال، ومادته)، وحظبت الأداة بجلّ اهتمامه، فكان ينبّه على ما قد يشوب سلامة نظام العربية الفصحى ويعوق التواصل بها.

(١) أمين، سهير محمود، اللّججة: المفهوم - الأسباب - العلاج، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٢٢

خامساً: رصدت الدراسة عدداً وافراً من المصطلحات الدالة على التواصل اللغوي والاضطرابات التي تعتريه، وميزت الدراسة أصناف هذه الاضطرابات وفق معطيات اللسانيات التواصلية، فجاءت المصطلحات موزعة على اضطرابات: النطق، والأصوات، والطلاقة اللغوية، والسمع.

سادساً: أولت هذه الدراسة اضطرابات الطلاقة جلّ عنايتها، فتناولت المصطلح والمفهوم والمجال العلمي، وأفاضت في مناقشة مصطلحات هذا الحقل، فوفقت على أهم المصطلحات الواردة في كتاب الإبانة، وقارنت هذه المصطلحات بما ورد لدى لغويي القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتتبع تطور هذه المصطلحات في كتابات اللغويين العرب القدامى، ومدى إفادة اللغويين العرب المعاصرين من هذه المصطلحات في مواجهة التطور في حقل اللسانيات المعاصرة بعامة، واللسانيات العيادية بخاصة.

سابعاً: رصدت الدراسة- في كتاب الإبانة- مصطلحات اضطرابات الطلاقة الآتية: الرتة والتمتمة والتأتأة والقافأة والتلعثم واللججة. ولاحظت أنها تشكل جزءاً من مصطلحات اضطرابات الطلاقة في الموروث اللغوي العربي، فثمة مصطلحات أخرى في الموروث العربي تستحق البحث في دراسات قابلة.

ثامناً: تتبعت هذه الدراسة مصطلحات اضطرابات الطلاقة في المصادر التراثية اللغوية، وسجلت الملاحظات على تطورها، وارتباط دلالاتها الاصطلاحية بالدلالة اللغوية، ومدى استمرارها وشيوعها في الدراسات المعاصرة ومعجمات المصطلحات، وما يقابلها من المصطلحات والمفاهيم في اللسانيات العيادية.

تاسعاً: توصلت الدراسة إلى أن مصطلح الرتة يرتبط في كتاب الإبانة بالعجلة في الكلام، وأن معظم المعجمات الاصطلاحية - التي وقف عليها الباحث- قد قصرت عن متابعة مفاهيم اضطرابات الطلاقة ومصطلحاتها في اللسانيات العيادية، واقتربت الدراسة أن يُستخدم مصطلح الرتة مقابلاً لمصطلح (Cluttering). كما كشفت الدراسة عن اتصال الداليتين اللغوية والاصطلاحية في تشكيل الرتة، مما يضيف على المصطلح القوة في الشيوخ والتداول، فضلاً على رسوخه في التراث اللغوي العربي وبدلالة اصطلاحية تضاهي ما قد يحمله المصطلح من أبعاد معاصرة.

عاشراً: توصلت الدراسة إلى أن مصطلح التمتمة في كتاب الإبانة مستمد من كتاب العين، وأن المصادر التراثية قد اتفقت في لفظ المصطلح واختلفت في تحديد معناه، ورجحت الدراسة استخدام المصطلح في اللسانيات المعاصرة ليدل على اضطرابين، هما ترداد التاء، والعجلة في الكلام، ليجمع بهذا بين المصطلحين الغربيين: (Cluttering) و(Stuttering). والحقيقة أن مثل هذا المصطلح قد يكون ذخيرة يستخدم بهذا المفهوم في حال التطور المتوقع في اضطرابات الطلاقة في اللسانيات العيادية التي تعدّ فرعاً لسانياً معاصراً ناهضاً.

حادي عشر: ورد مصطلح اللعثة في كتاب الإبانة ليدل على التوقف والتثبث، ولوحظ أن المصطلح ظلّ مستخدماً بدلالته اللغوية حتى مرحلة متأخرة، وتوطئ دلالة المصطلح المعجمية لاستيعاب دلالة المصطلح الغربي (Stuttering)، الذي يدل على اضطراب يصيب تواتر الكلام واتصال وحداته اللفظية. ولوحظ أن عدداً من الدراسات والمعجمات المعاصرة قد استخدمت اللعثة مقابل هذا المصطلح، غير أن جلّ هذه المعجمات والدراسات قد سقطت في مشكلة الترادف المصطلحي، فاستخدمت إلى جواره الدلالة الاصطلاحية نفسها أكثر من مصطلح، نحو: الحبسة والعقدة والقافأة وغيرها.

ثاني عشر: حمل مصطلح التأتأة دلالاته الاصطلاحية في أواخر القرن الرابع الهجري، واستقرّ في المعجمات المتأخرة كلسان العرب وتاج العروس، وجاءت فيها دلالاته الاصطلاحية إلى جانب دلالاته اللغوية، وشاع مصطلح

التأتأة في الدراسات المعاصرة مقابلاً للمصطلح الغربي (Stuttering). واقترحت الدراسة الحالية تخصيص دلالاته ليطلق على نمط من أنماط اللعثة (Stuttering)، ليدل على تردد صوت التاء دون غيره من الأصوات، أو إطلاقه على تردد الأصوات الانفجارية. وغني عن التفصيل، هنا، فيما لحق هذا المصطلح في الدراسات والمعجمات الاصطلاحية العربية من عيوب الاشتراك والترادف المصطلحي.

ثالث عشر: يلاحظ أن مصطلح الفأفة من المصطلحات القليلة التي أجمع اللغويون القدامى على إيرادها متفقه اللفظ والمفهوم، فاستخدم للدلالة على تردد الفاء ومدّ الصوت اللغوي، ولوحظ تعاضد الداليتين اللغوية والاصطلاحية في تشكيل هذا المصطلح. وارتأت الدراسة الحالية إطلاقه على نمط من أنماط اللعثة، يُظهر المصاب به اضطراباً في تكرار الأصوات الاحتكاكية ومَظَلِّها.

رابع عشر: مرّ مصطلح اللججة في الموروث العربي بمراحل عديدة في تطوره الاصطلاحي، ليدلّ في النهاية على علة كلامية لا يخرج بسببها الكلام بعضه في إثر بعض، حسب تعبير ابن منظور. واستعمل المصطلح في العصر الحديث استخداماً يشوبه الاختلاط والتشويش، فاستعمل في بعض الدراسات مرادفاً للتمتمة والفأفة والتأتأة واللعثة، وغيرها. وتذهب الدراسة الحالية إلى ضرورة الإفادة من هذا المصطلح بإطلاقه على نمط من أنماط اضطرابات اللعثة يرتبط باضطراب توقي أو تكراري يعوق تدفق الهواء، ممّا يسبب اضطراباً في إيقاع الكلام.